328

HARLEQUIN

روايات أحلام

العروس المتمردة

جوليا جيمس

www.elromancia.com
مرمورية

العروس المتمردة

حرمت أندريا من ميراثها منذ أن ولدتها أمها . فترعرعت في الفقر والحرمان . لكن عندما بلغت الخامسة والعشرين من عمرها استدعيت على جناح السرعة إلى اليونان حيث كانت بانتظارها صدمة ...

لم تدر أندريا ما يحصل لها إلا وهي خطيبة رجل فاحش الثراء. كان جدها قد خطط لهذا الزواج كجزء من صفقة تجارية بصرف النظر عن مشاعرها. إلا أن الحرمان الذي عانته أندريا جعلها منيعة ومستقلة وقادرة على الرفض حتى لو كان نيكوس ڤاسيلي أشد الرجال الذين التقتهم سحرا وجاذبية وأكثرهم ثراء .

لكن ما سبب رفضها ؟ هل تريد الانتقام من جدها ؟ أم أن العريس لم يعجبها ؟ أو أن السر الذي لا يعرفه سواها يقف حائلا أمام السعادة التي طالما حلمت بها ؟

لبنان،	2500ل.ل	البحرين،	1دينار
سوريا،	75ل.س.	السعودية،	10ريال
الأردن،	1.5دينار	مصر،	8جنيه
الكويت،	750فلس	المغرب،	15درهم
الإمارات،	10دراهم	تونس،	2دينار
قطر،	10ريال	عمان،	1ريال

ISBN 9953-15-210-1

جوليا جيمس

تعيش جوليا في بريطانيا. روايات Mills & Boon هي أولى كتب «الكبار» التي قرأتها وهي من سن المراهقة، وهي تقرأ هذه الروايات حتى الآن. تحب جوليا أجواء الريف الإنكليزية في كل فصوله وتسحرها قصوره التاريخية ومزارعه القديمة، وهي معجبة أيضاً بطبيعة البلدان المتوسطية التي تعتبرها الأجمل بعد انكلترا، ولهذا تعتمدها كمسرح لأحداث رواياتها الرومنسية. تهوى جوليا، إلى جانب كتابة الروايات، المشي والعناية بالحديقة، والتطريز وتحضير قوالب الحلوى الشهية. وتحاول أن تحافظ على وزنها وصحتها!

www.elromancia.com

تمهيد

ـ ما الذي تريدني أن أفعله؟

رفع نيكوس فاسيليس حاجبيه ذهولاً، وهو يحدق بالرجل الجالس خلف المكتب.

صحيح أن العجوز يورغوس كوستاكيس تخطى الثامنة والسبعين من العمر، إلا أنه لم يفقد ذرة من هيبة صباه، فلا زالت عيناه السوداوان تلتمعان ببريق حاد يدل على قدرة مميزة في معرفة النفس البشرية.

قال له بنبرة خلت من أي تعبير: «كلامي واضح.. تزوج حفيدتي، لنمضي قدما في عملية الدمج».

أجابه الشاب بفتور: «ربما... ولكنني لم أصدقك».

رسم يورغوس كوستاكيس على ثغره ابتسامة خبيثة قائلاً: «عليك أن تفعل... لأنني لن أعرض عليك صفقة أخرى.. وأظنك قطعت أربعة آلاف ميل لعقد صفقة جديدة، أليس كذلك؟».

تمالك الزائر نفسه كي لا تبدو عليه آثار الانفعال.. فهو يعي تماماً أن السلاح الأفضل لمواجهة العجوز كوستاكيس عند التفاوض معه، هو الحفاظ على رباطة الجأش.

والحق يقال إن الاستياء بلغ منه أوجه حين اتصل به رئيس امبراطورية كوستاكيس العظيمة عند الساعة الثالثة من فجر أمس، طالباً

منه الحضور في الصباح إلى بيته لعقد صفقة جديدة معه. فلقد أفسد عليه سحر اللحظات الحميمة التي كان يقضيها برفقة عارضة الأزياء الشهيرة إيسم فاندرس في شقته في مانهاتن.. إلا أن إمبراطورية كوستاكيس تستحق أن يضحي المرء بنساء العالم. ولكن، أتراها تستحق أن يتخلى نيكوس عن حديثه ويرتبط بفتاة لم تقع عيناه عليها من قبل؟.

حوّل نيكوس نظره إلى النافذة الكبيرة المطلة على مدينة أثينا.. مدينة التلوث والضوضاء ومهد الحضارة الغربية.. مدينة عرفها منذ طفولته فقد ترعرع في شوارعها، ومشى بين أزقتها واختبر قسوتها التي لا ترحم. فمنذ نعومة أظفاره وهو يجاهد ليبعد عنه شبح الفقر.. ومع بلوغه الرابعة والثلاثين من العمر، نسي أنه كان في الماضي صبياً يتيماً، منبوذاً يهيم على وجهه بين الأزقة. صحيح أن رحلته في الحياة لم تخل من الشقاء و الصعوبات، غير أنه قطعها بنجاح، وتلذذ بثمار انتصاراته الحلوة المذاق. وها هو اليوم يقف بثقة عالية في النفس على قمة أعظم انتصار له.. مصانع كوستاكيس الشهيرة.

قال للعجوز محاذراً أن تفضح تعابير وجهه أفكاره: «حسبتك ستعرض علي اتفاقاً لمقايضة الاسهم».

فمنذ فترة طويلة، وهو يعد خطة محكمة لضم شركة فاسيليس إلى إمبراطورية كوستاكيس الجبارة عن طريق مقايضة الأسهم. من دون أن يغيب عن ذهنه أن العجوز كوستاكيس سيطالبه بتعويض مالي كبير.. فالمال لا يقف أبدا عائقاً أمام طموحاته.. فهو يعلم أن العجوز عقد العزم على التقاعد بعد أن تدهورت حالته الصحية، إلا أنه لن يتنازل عن إمبراطوريته قبل أن يعقد صفقة تحفظ له ماء الوجه، صفقة يتفاخر بها، فينسحب بشهامة كالأسد، تاركاً زئيره الأخير يتردد في الأرجاء. ولكن

عرض كوستاكيس المفاجيء تركه في حالة من الذهول، خاصة أنه لم يأت على ذكر حفيدته تلك من قبل.

- يمكننا التوقيع على عقد مقايضة الأسهم يوم الزفاف.

جاء رد يورغوس بارداً ففضل نيكوس أن يلزم الصمت فيما راحت الأفكار تتخبط في رأسه.

- إذن؟

- دعني أفكر في الموضوع.

وإذ هم نيكوس بمغادرة المكتب قال له العجوز بحدة: «إن تخطيت عتبة هذه الباب، اعتبر الصفقة ملغاة».

تسمر نيكوس في مكانه، وعيناه لا تفارقان الرجل الجالس خلف المكتب.. أتراه يحاول مراوغته؟ ولكن العجوز لا يحب المراوغة.

- إما أن توقع في الحال، أو تنسى الموضوع برمته.

التقت عينا نيكوس الرماديتان - عينان ورثهما عن والده، فضلاً عن طوله الفارع الذي يميزه عن سواه من اليونانيين - بعيني كوستاكيس السوداوين.. فتوجه بخطى ثابتة نحو المكتب، وأخذ قلم كوستاكيس الذهبي، ووقع على الوثيقة الموضوعة أمامه. ثم أعاد القلم إلى مكانه، وغادر المكان من دون ينبس ببنت شفة.

حاول نيكوس أن يستجمع أفكاره خلال نزوله في المصعد إلى الطابق الأرضي، لكن جهوده باءت بالفشل. فالإحساس بالبهجة ترافق مع إحساس بالغضب العامر، البهجة لبلوغه الهدف الذي سعى إليه طويلاً، والغضب لوقوعه في فخ الثعلب الماكر.. فالعجوز لعب اللعبة بذكاء فائق، مستغلاً تلك الحفيدة التي ظهرت من العدم!

ولكن لماذا يشغل باله بهذه الأمور طالما أن الحلم الذي راوده منذ زمن بعيد لم يعد بعيد المنال؟ فها هو قد أمّن لنفسه مكاناً على قمة

الجبل الزلق الذي أمضى عمره في محاولة تسلقه.

وإن كان قدره أن يتزوج حفيدة كوستاكيس المجهولة التي لم يقابلها قط، فلن يدع ذلك ينغص عليه حياته، لا سيما وأن الدرب إلى المجد باتت قصيرة. أيعقل أن يرفض عرض العجوز كوستاكيس بالزواج من حفيدته، ومفاتيح سعادته بين أيديهما؟ هذا محال..!

* * *

١ ـ دعوة غير متوقعة

كانت كيم تعد طعام الفطور في المطبخ، وسمالها الحاد يصم أذني اندريا ويمزق قلبها.. فوالدتها تعاني من داء الربو منذ سنوات طويلة، إلا أن حالتها تدهورت خلال الشتاء الماضي حين أصيبت بالتهاب رئوي ولم تنفع الأدوية المختلفة في التخلص منه، فنصحها الطبيب بأن تقضي الشتاء في منطقة حارة ذات مناخ جاف. ولكن وضعهما المادي سيء للغاية، فهما بالكاد تؤمنان حاجاتهما الضرورية.

سمعت اندريا حركة ساعي البريد في الخارج، فأسرعت لتحضر البريد وتخفيه عن والدتها.. ذلك أن ساعي البريد لا يحمل لها عادة سوى كومة من الفواتير، تقض مضجع كيم التي لا تكاد تذوق طعم النوم في الآونة الأخيرة، وهي تحاول تأمين المال اللازم لدفع مصاريف التدفئة خلال الشتاء.

ألقت اندريا نظرة سريعة على البريد، فوجدت فيه فانورتين جديدتين ومجموعة من الإعلانات بالإضافة إلى مغلف أبيض اللون طبع عليه اسمها. قطبت اندريا جبينها. أتراه أمر بإخلاء الشقة؟ أم تذكير باستحقاق دين ما؟ أم إنذار من البلدية أم المصرف؟ فتحت المغلف بسرعة وفضت الرسالة الموضوعة في داخله، فلفتت انتباهها الزوايا المزخرفة والمقطع الصغير المطبوع بإتقان في وسطها: (حضرة الآنسة فرازير).

www.elromancia.com

جمد الدم في عروقها وهي تقرأ ما جاء في الرسالة. عادت وقرأتها ثانية علها أساءت فهمها، فإذا بنيران الغضب تتأجج في داخلها، وتدفعها إلى رمي الرسالة أرضاً.. يا له من سافل!.. غير أنها خشيت أن تقع الرسالة بين يدي والدتها، فالتقطتها ثانية ورمتها في قعر حقيبة يدها، فيما بقيت الكلمات الموجزة المطبوعة على الورقة تتردد طوال النهار في رأسها: (نرجو منك الحضور في نهاية الأسبوع المقبل لزيارة السيد كوستاكيس. تجدين بطاقة السفر في مطار هيثرو صباح الجمعة. راجعي خطة الرحلة المرفقة للتأكد من موعد السفر. ستجدين شخصاً في انتظارك في مطار أثينا. إتصلي على رقم الهاتف المدون أدناه قبل الساعة الخامسة من بعد ظهر الغد للتأكيد على استلامك هذه الرسالة) وقد دونت في أسفل الورقة عبارة بسيطة: «باسم السيد كوستاكيس».

تملك القنوط اندريا... السيد كوستاكيس، الشهير بيورغوس كوستاكيس مؤسس شركات كوستاكيس ومالكها؟ إنه جدها الذي تكرهه بكل جوارحها..

عادت اندريا بالذاكرة إلى عشر سنوات خلت، يوم تلقت والدتها رسالة مشابهة حملت إليها تحذيراً واضحاً بتعريضها للملاحقة القانونية إن حاولت الاتصال ثانية بالسيد كوستاكيس..

مضى على ذلك عشر سنوات.. عشر سنوات نسي خلالها يورغوس كوستاكيس أمر حفيدته كلياً.. و هاهو اليوم قد بدل رأيه وأرسل يستدعيها لزيارته. صرت اندريا على أسنانها.. أتراه يتوقع منها أن تذعن لرغبته وتشرع في توضيب حقائبها للحاق بالرحلة المتوجهة إلى أثينا صباح الجمعة المقبل؟

لن تحقق له رغبته أبداً ولن تجعله يرى صورة وجهها على الإطلاق!

في اليوم التالي، وصلت رسالة أخرى من مكتب كوستاكيس في لندن، وهي أكثر إيجازاً من الأولى: (حضرة الآنسة فرازير.

لم نتلقَ اتصالاً منك للتأكيد على استلامك رسالتنا الصادرة منذ يومين.. الرجاء الاتصال بنا في الحال).

وضعت اندريا الرسالة الثانية في حقيبة يدها كي لا تراها كيم.. إذ يكفيها ما ذاقته من عذاب مع والد الرجل الذي أحبته بجنون وخطفه الموت منها قبل الأوان.. أحست اندريا بالغثيان.. كيف يعقل أن يعامل أحدهم أمها الحنون الرقيقة بهذه القسوة؟

إنه المستبد يورغوس كوستاكيس الذي تلذذ برؤية عذاباتها إلى أقصى حد!

لم تجد اندريا مفراً من الرد على رسالتي جدها، فكتبت تقول له والكراهية تكاد تعمي بصرها:

(عطفاً على مراسلاتكم الأخيرة، الرجاء أخذ العلم بأن رسالتكم المستقبلية لن تلقى مني رداً).

ووقعت الرسالة باسمها فحسب.

* * *

سأل نيكوس مضيفه وهو يعبث بكوب العصيرالموضوع أمامه: «متى تصل العروس يا يورغوس؟».

كان نيكوس يتناول العشاء برفقة جد عروسه العتيدة في منزله الفخم الواقع في ضواحي أثينا، والذي يجد فيه العجوز كوستاكيس كل ما يرضي وضعه الاجتماعي. أجابه العجوز باقتضاب: «في نهاية الأسبوع».

لاحظ نيكوس أن العجوز لا يبدو على طبيعته، فوجهه شاحب والقلق باد في عينيه.

ـ ماذا عن حفل الزفاف؟

ضحك مضيفه مازحاً وقال: «هل أنت متلهف للزواج من فتاة لا تعرف شكلها؟».

ـ قلما يهمني شكلها، طالما أن اتفاقنا لا رجوع عنه.

ـ حسناً! كل الطيور تتشابه في الظلام. أنا نفسي لجأت إلى الحيلة مع جدتها.

شعر نيكوس بالنفور من هذا العجوز المتسلط. فهو يعلم أنه احتال، في ما مضى، على تلك الفتاة الكريمة الأصل التي وقعت في هواه، فجعلها تلحق به إلى شقته، بعد ظهر أحد الأيام. وحرص على إيصال الخبر إلى مسمع والدها. وعلى الرغم من أن هذا المسكين وصل في الوقت المناسب لإنقاذ ابنته الساذجة من براثن الوحش الكاسر، إلا أنه لم يتمكن من إنقاذ سمعتها. . إذ تحداه يورغوس بفظاظة قائلاً: «لن يصدق الناس بأنها غادرت شقتي من دون أن ألمسها».

عاد نيكوس بأفكاره إلى اللحظة الحالية. . هل فقد صوابه ليتزوج من فتاة لا يعرف عنها شيئاً، سوى أنها من صلب كوستاكيس؟ ولكن ما هو رأي الفتاة في الزواج من شخص غريب عنها؟ أم أن الزيجات المماثلة بات شائعة في عالم الأثرياء؟

لا شك أن حفيدة كوستاكيس تعلمت منذ نعومة أظفارها أن تطيع جدها، الذي أفرط في تدليلها حتى بات همها الوحيد في الدنيا إنفاق المال على الملابس والمجوهرات. غير أن نيكوس لا ينوي حرمانها من هذه المتعة أبداً. . إذ من المتوقع أن يزداد دخله عشر مرات أكثر بعد زواجه منها. وسوف يغدق عليها المال لتنفقه يميناً وشمالاً وتمتع نفسها.

وتنبه في تلك اللحظة إلى أن زواجه سيشكل حجر عثرة أمام ميله

للانغماس في ملذات الحياة. .

كان نيكوس يدرك أن ثروته تجذب النساء إليه، لأن المال هو عنصر مثير للغاية بالنسبة إليهن. . ولا شك أن وسامته البارزة ونجاحه الباهر في دنيا الأعمال، جعلا منه العازب الأكثر شهرة وجاذبية، ما دفع أجمل نساء العالم على التهافت لإرضائه واستمالته إليهن. . تململ نيكوس في كرسيه، وقد اجتاحته رغبة شديدة بمغادرة هذا القصر، والذهاب لزيارة صديقته كزانتي بالويس في شقتها الفخمة. فرفقتها تروق له وتخفف عنه. .

صحيح أن إيسم فاندرسن شغلته عنها لبعض الوقت، إلا أنها تكن له الكثير من الود، ولم تغلق يوماً بابها في وجهه، لا سيما أنه يحمل لها معه هدايا ثمينة تذكرها دوماً بزيارته لها.

تململ نيكوس في كرسيه من جديد. . ألا ينبغي عليه أن يرفه قليلاً عن نفسه قبل ليلة الزفاف الموعودة، ليلة يتوقعها مرهقة أكثر منها ممتعة؟ إذ لم يعتد نيكوس على التعامل مع فتيات ساذجات تنقصهن الخبرة في الحياة، ولا شك أن عروسه العذراء تنتظر منه أن يغرقها بالمشاعر الرقيقة الحنونة، لتتمكن من خلع رداء الخجل أمامه. ماذا لو كانت عروسه قبيحة المنظر؟

ألم يستشف من تلميحات يورغوس كوستاكيس الساخرة، بأنها مثال للقبح؟ أم لعل العجوز يجد لذة في تزويجه من امرأة قبيحة لمجرد حيازتها على مفاتيح التحكم بشركات كوستاكيس فحسب، في حين أنه حرص دوماً على الظهور أمام الناس برفقة نساء رائعات الجمال؟

ولكن من تراها تكون حفيدة العجوز كوستاكيس المجهولة تلك؟ فعلى حد علمه إن يورغوس ليس لديه وريث، ولذلك باتت فكرة الاستحواذ على شركات كوستاكيس تطارد نيكوس منذ حين.

فالمعروف أن ابنه الوحيد لقي حتفه منذ سنوات خلت، في حادث اصطدام سيارتين، فيما أصيبت زوجته مارينا بنوبة مرضية أقعدتها سنين طويلة إلى أن خطفها الموت منذ فترة ليست ببعيدة، فلم تسنح بالتالي الفرصة ليورغوس بالزواج ثانية وإنجاب ورثة.

والغريب أن قصة زواج ابنه قبل موته، وإنجابه طفلة من صلبه بقيت طي الكتمان. إذ يبدو أن العجوز كوستاكيس ترك لأرملة ابنه حرية الزواج ثانية، وتربية حفيدته على الطاعة والتهذيب وحسن السلوك، لتصبح في المستقبل أماً صالحة وربة منزل من الطراز الأول.

رفع نيكوس كوب العصير وهو يحاول أن يظهر اهتمامه بكلام يورغوس الذي يستغل الفرصة، كلما التقى به، ليتباهى أمامه بانتصاراته الساحقة على منافسيه.. إلا أن نيكوس كان شارد الذهن، وأفكاره مشوشة، يتساءل عما يخبىء المستقبل له من مفاجآت.. أتراه سيكون مثال الأب الصالح؟ فهو لم يعرف يوماً معنى الأبوة، إذ هاجر والده قبل أن يرى نيكوس النور، وانقطعت أخباره عن الجميع.. أما والدته، فكانت يافعة، وتفتقر إلى غريزة الأمومة، فلم تحط ابنها برعايتها أو تغرقه في حنانها.. بل تركته يكافح، بمفرده، لتأمين لقمة العيش وتحسين وضعهما المادي.. إلا أنها لم تعش طويلاً لتستمتع بثرائه، إذ توفيت في حادث اصطدام سيارة منذ حوالى اثنتي عشرة سنة، وكان نيكوس يومها في الثانية والعشرين من عمره.

ارتشف نيكوس القليل من العصير، وقد عقد العزم في قرارة نفسه، على استغلال كل قرش يجنيه بعد استلامه زمام الأمور في شركات كوستاكيس للاستمتاع بحياة مشرقة والتعويض عن الحرمان الذي عانى منه.. فهو سيصبح من أثرى أثرياء العالم. وإن أراد كوستاكيس الحصول على وريث من حفيدته تلك فلن يمانع نيكوس

أبداً، مهما كان منظرها منفراً.

* * *

وقفت أندريا أمام باب شقتها تحدق في الرسالة التي استلمتها من أحد المتاجر الراقية في لندن، يبلغها فيها عن فتح حساب باسمها في المتجر المذكور، قيمته خمسة آلاف جنيه. على أن ترسل الفواتير التي تتخطى هذا المبلغ، إلى مكتب بورغوس كوستاكيس الخاص لتسديدها.

بالإضافة إلى هذه الرسالة، وجدت أندريا رسالة جديدة من مكتب كوستاكيس في لندن، تضمنت توصيات محددة بشراء كل ما يلزمها من الملابس، قبل سفرها إلى أثينا في نهاية الأسبوع المقبل. وختمت الرسالة بالتذكير برقم مكتب لندن للاتصال بهم والتأكيد على استلامها هذه الرسالة.

ضاقت عينا اندريا غضباً.. ما الذي يدور في رأس العجوز السافل؟ ما الذي يريده منها؟ فالمسألة تثير الارتياب. حاولت أن تلملم أفكارها المشتتة، إلا أنها لم تفلح.. شعرت برغبة جامحة بتمزيق الرسالة إرباً إرباً وإرسالها إلى جدها.. ولكن أتراه سيفهم قصدها؟ من الصعب عليه أن يفعل.. تملكها إحساس غريب بأن العجوز يريد منها شيئاً. فهو لم يعترف بوجودها أبداً من قبل، ولكنه رجل في غاية الثراء، ويمكنه أن يستغل نفوذه لتحقيق مآربه..

أتراه يريد انتشالهما من الضيقة التي تعانيان منها؟ فالديون تثقل كاهلهما، ولن يتمكنا من تسديدها قبل خمس سنوات.. خمس سنوات من العمل المضني، في حين أن حالة كيم الصحية تتطلب عناية خاصة وراحة شاملة. اعتصر الألم قلب اندريا.. ألم يحن الوقت بعد لتذوق والدتها طعم السعادة؟ فقد دفعت ثمن لحظات الحب والسعادة القصيرة

التي عاشتها إلى جانب والدها، أربعة وعشرين عاماً من التضحية في سبيل ابنتها. كما أن الشقة المتواضعة التي تقيمان فيها باتت في حالة يرثى لها، ومن الضروري إيجاد حل لمشكلة الرطوبة فيها، لأنها تسيء إلى صحة والدتها..

مرت في ذهن اندريا ثروة يورغوس كوستاكيس الطائلة.. إلا أنها ما لبثت أن طردت هذه الفكرة من رأسها، مصممة ألا تقحم هذا الرجل في حياتها، مهما كانت نواياه نحوها.

***

٢ ـ لقاء و... صفاء

رفع نيكوس كم سترته السوداء وألقى نظرة عاجلة على الساعة الذهبية التي تحيط بمعصمه. لِمَ طلب العجوز كوستاكيس رؤيته في هذه الساعة؟

مضت عشر دقائق وهو يذرع أرض الشرفة جيئة وذهاباً، منتظراً أن يقابله العجوز.. عشر دقائق طويلة لا تقدر بثمن بالنسبة لرجل كثير المشاغل مثله.

دنا الخادم منه، من جديد، يسأله ما إذا كان يرغب باحتساء كوب آخر من العصير المثلج. هز نيكوس رأسه بفظاظة وقد نفد صبره من انتظار العجوز، فانحنى الخادم احتراماً، وعاد أدراجه من دون أن يتفوه بكلمة. حاول نيكوس أن يلهي نفسه كي لا ينفجر غاضباً، فراح يتأمل الحدائق المنبسطة تحته.. حدائق غناء زينت بإفراط لتترك في النفس انطباعاً قوياً لا لتمتع العين. وإذا به يتخيل فجأة صبياً صغيراً يحاول اللعب في الحديقة، فلا يجد له مكاناً بين الأشجار الغريبة، والمماشي المزخرفة والحافات المكسوة بالنباتات.. فانتابه إحساس غريب بالقلق وقد أدرك أنه يحتاج إلى مكان ملائم ليربي فيه أولاده.

غير أن فكرة الزواج من حفيدة يورغوس كوستاكيس المدللة والقبيحة المظهر كانت تثير سخطه.. فهل هو قادر على المضي حتى النهاية في هذا المشروع لإحكام قبضته على شركات كوستاكيس؟

www.elromancia.com

طرد نيكوس الشكوك من رأسه مؤكداً في قرارة نفسه على المضي قدماً.. ففي مطلق الأحوال، لن ينتهي مشوار حياته لحظة زفافه، إذ إنه لا يتوقع أن يعيش العجوز، الذي قارب الثمانين، طويلاً.. وبعد وفاته قد يتوصل إلى اتفاق مع حفيدته، لينفصل عنها بصورة حضارية.

(ماذا عن ابنك؟ أتظن أنه سيتقبل فكرة انفصالكما بروح مرحة؟).

أبعد نيكوس هذه الفكرة أيضاً من رأسه، متسائلاً ما إذا كانت عروسه العتيدة عاقراً!

شعر بحركة خلفه فالتفت بحثاً عن مصدرها، وإذا بامرأة غريبة ترتقي السلم المؤدي إلى الشرفة.. لفت انتباهه شعرها الطويل المتدلي على كتفيها بأمواجه العسلية، مبرزاً جمال عنقها الطويل.. تحركت عيناه ببطء على وجهها، فأسرته قسماته الملائكية وجماله الأخاذ.. فأنفها مستدق صغير، وشفتاها ممتلئتان، وعيناها كهرمانيتان ساحرتان.

أحس نيكوس برعشة تسري في جسمه وهو يتأملها. راحت عيناه تتنقلان بشوق على قدها النحيل، وساقيها الطويلتين، ومفاتنها التي تظهر تحت سروالها الطويل وسترتها الأنيقة.

من تراها تكون؟ وما الذي تفعله سيدة جميلة ومثيرة مثلها في منزل يورغوس كوستاكيس؟ لا شك أنها ضيفة مميزة وعزيزة على قلب العجوز.. فجميع سكان أثينا يعلمون أنه يهوى الشابات الجميلات، وأنه لم يتوان عن اتخاذ الكثير من العشيقات له، حتى قبل أن تصاب زوجته بالشلل. أحس نيكوس بالغثيان وهو يتخيل الفتاة الشابة بين أحضان عجوز على أبواب الثمانينات.. فالفكرة مثيرة للقرف حقاً..

رفرفت اندريا بعينيها وقد بهرها نور الشمس لثوانٍ، وهي تخرج من المنزل الفخم المظلم الذي وصلت إليه منذ حوالي خمس دقائق. وإذ تجلت الرؤية أمامها، تنبهت إلى وجود شخص على الشرفة فارع

الطول، ذا شعر أسود، يرتدي بزة عملية وربطة عنق ملائمة. شعرت اندريا بالحرارة تدب في أوصالها و هي تتأمل ملامحه المتوسطية الطابع، وقسمات وجهه المنحوته من الصخر، وعينيه الرماديتين اللتين تلاحقانها بإصرار ملهبتين مشاعرها.. هزت رأسها كأنما لتتأكد أن ما تراه ليس خيالاً، وإذا بتعابير وجه الرجل الغريب تتبدل فجأة لتصبح قاسية يشوبها نوع من الازدراء.

شعرت اندريا بغضب شديد مفاجيء، غضب لا يمت بصلة إلى الرعشة التي اعترتها للحظات خلت أمام هذا الرجل الوسيم.. إذ لم يغب عنها افتتانه الجلي بها منذ اللحظة الأولى التي رآها فيها.. لطالما شعرت بالانزعاج من نظرات الإعجاب التي يرمقها الرجال بها، إلا أنها تعلمت، مع مرور الزمن، أن تخفي جمالها الساحر خلف الملابس الفضفاضة والشعر المعقوص إلى الخلف، بالإضافة إلى امتناعها عن التبرج.. فقد كانت تعلم أن هذا الإعجاب، مهما كان حجمه، لن يدوم طويلاً، لا سيما عندما يرون الجزء المغطى من جسمها..

طردت هذه الفكرة من رأسها، محاولة أن تخفي إحساسها بالمرارة خلف امتنانها العظيم لوالدتها ولكل من ساعدها، خلال السنوات الصعبة التي عاشتها، لاجتياز المحنة بأقل ضرر ممكن. أما المرارة التي تشعر بها حيال جدها، فمردها إلى سوء معاملته لوالدتها.. وها هي تقف اليوم على هذه الشرفة، بعيدة آلاف الأميال عن ديارها، يرميها رجل غريب، أسرتها وسامته، بنظرة اشمئزاز واضحة، إكراماً لوالدتها فحسب.

لم تكن اندريا قادرة على اتخاذ قرار مناسب من دون اللجوء إلى صديقتها ليندا وزوجها طوني.. فمنذ استلامها رسائل كوستاكيس وهي تتساءل باستغراب: «لم يفعل بي ذلك؟ أظنه يخطط لشيء ما أجهله..

وهذا ما يثير قلقي».

أجابتها ليندا قائلة: «لعله يريد أن يتعرف عليك يا آندي. فهو عجوز وحيد، وأظنه يريد أن يكفر عن ذنوبه».

ـ كيف ذلك وهو لم يأت على ذكر والدتي في رسائله؟ ألم يكن حري به أن يوجهها إليها؟

علق طوني على كلامها قائلاً: «انصحك بالذهاب يا اندريا، لأنني أخاله يسعى لمصالحتك.. ولكن، إن افترضنا أنه يريد استغلالك لأغراض شخصية، ، ألا ترين أن ذلك يعزز موقفك؟».

قطبت اندريا جبينها غضباً فتابع طوني كلامه قائلاً: «ألا تعتقدين بأنه لن يتوانى عن تلبية طلباتك كلها إن كان يريد منك شيئاً؟».

ـ أنا لا أريد منه شيئاً.

ـ ولكنه يملك المال يا آندي.. الكثير من المال.

لم تستطع اندريا أن تتمالك نفسها، فقالت له ساخطة: «لا أريد ماله!».

ـ ماذا عن والدتك يا آندي؟

فاجأها سؤاله، فالتزمت بالصمت، فيما حاول طوني الضغط عليها أكثر قائلاً: «ماذا لو أبدى استعداده لتسديد ديونها كلها وتأمين نفقات سفرها إلى إسبانيا؟».

شعرت اندريا بضيق في صدرها وهي تسترجع في ذهنها صورة والدتها وهي تقف قرب المغسلة، عاجزة عن التقاط أنفاسها وسعالها الحاد يصم الآذان: «لا أستطيع ذلك.. لا يمكنني قبول مال هذا الرجل».

ـ فكري ملياً بالأمر.. فالمال ليس لك بل لوالدتك. لطالما سمعتك ترددين بأنه يدين لها بذلك، وهذا صحيح! فأمك تكفلت

بتربيتك بمفردها، ولم تلق منه إلا الشتم والإهانة! أظن أن الوقت قد حان لتنعم حفيدة المليونير كوستاكيس بثروته على الرغم من كرهها الشديد للرجل الذي عامل والدتها بقساوة.

لم تجد اندريا بعد ذلك مفراً من تلبية دعوة جدها لزيارته، آملة أن تتمكن من إقناعه بشراء شقة صغيرة لوالدتها في أحد البلدان المعتدلة المناخ. لكن، إذا لم تفلح في إقناعه ستذهب تضحياتها كلها هباء.

ابتسمت اندريا وهي ترفع نظرها من جديد إلى الرجل الوسيم الواقف أمامها. أتراه عرف من تكون؟ كانت رائحة الثراء تفوح من بذلته الباهظة الثمن، وساعة يده الذهبية، وقصة شعره العصرية. لا شك أنه أحد شركاء جدها، وينتمي إلى عالم رجال الأعمال المترف.. وتذكرت في تلك اللحظة، أنها استمتعت كثيراً برفقة طوني وليندا عندما رافقاها للتسوق من ذلك المتجر الأنيق في لندن، وإنفاق المال الذي خصصه لها جدها. واليوم، منذ الصباح الباكر جاءت ليندا لتساعدها على التبرج، وتصفيف شعرها، وانتقاء ملابس أنيقة لترتديها خلال رحلتها إلى أثينا. فبدت مختلفة كل الاختلاف عن تلك الفتاة البسيطة المقيمة في حي شعبي في لندن. ولكن بدا واضحاً لها أن الرجل الذي يقف أمامها الآن يتأملها بازدراء بعينيه الثاقبتين. لا شك أنه يدرك تماماً أنها حفيدة كوستاكيس المعدمة.

رفعت اندريا ذقنها بتحدٍ غير مبالية برأي هذا الرجل المقيت فيها. فهو مجرد شخص غريب، لا يعني لها شيئاً. شأنه شأن العجوز يورغوس الذي لا تربطها به إلا حاجتها الماسة للتعويض على المرأة التي أساء إليها أشد الإساءة وإن بالقليل من ثروته الطائلة.

لاحظ (نيكوس) أن نظرات الفتاة الغريبة أزدادت قساوة وغدت ابتسامتها أكثر سخرية، وكأنها لا تخجل أبداً من وضعها. وإذا بها

تتقدم فجأة نحوه وعلى فمها ابتسامة مثيرة لم يقوَ على مقاومتها.

شعرت اندريا بالقشعريرة التي سرت في جسمه ورأت في عينيه ومضة تردد، كأنها سحابة صيف عابرة. مالت رأسها بغنج، وشعرها الكثيف يتطاير حول كتفيها، وقد تملكتها رغبة جامحة بإزعاجه فقالت له: «مرحباً.. لا أظن أننا تقابلنا من قبل!».

ومدت يدها لتصافحه، إلا أنه تمنع عن مصافحتها رافضاً لمس اليد التي داعبت العجوز الثري سعياً وراء المال، ضارباً بعرض الحائط شوقه الشديد لملامستها.

أثار موقفه هذا اضطرابها، إلا أنها أبت أن تظهر له ذلك. إذا فشلت في اجتياز الاختبار الأول فمصير مهمتها الفشل حتماً... لن تكرر مأساة والدتها التي طردت منذ أربع وعشرين سنة من أثينا من دون شفقة، بسبب قدرة العجوز العظيمة على زرع الرعب في النفوس.

أما هي فلن تسمح له بأن يثير خوفها كما فعل مع والدتها، وعليها أن تواجهه بكل ما لديها من قوة. وأخذ صدى كلمات طوني يتردد، في تلك اللحظة، في رأسها. لا شك أن العجوز قد استدعاها لزيارته لغاية في نفسه، وهذا يجعل موقفها أقوى من موقفه. عليها ألا تنسى ذلك أبداً. ولن يدفعها احتقار هذا الرجل الغريب لها، لأن تنحني خاضعة.

رفعت اندريا رأسها عالياً وابتسمت له بخبث، ثم مرت بقربه من دون أن تلتفت نحوه، وتوجهت إلى الدرابزين، ووقفت تتأمل المشهد الممتد أمام عينيها.

شعرت أن رجليها مشدودتان، وتحتاجان إلى بعض التمارين بعد أن أمضت ست ساعات جالسة في الطائرة لا تحرك ساكناً. ثم تذكرت أن عليها أن تتصل بطوني لتعلمه بوصولها. نسيت في تلك اللحظة

الرجل الوسيم الذي يقف خلفها، وراحت تستعرض في ذهنها الخطة المحكمة التي وضعها لها طوني، كي لا تقع ضحية مناورات جدها. ولكن، أتراهما نسيا ثغرة ما؟

فالمعروف أن يورغورس كوستاكيس قاسي القلب، لا يعرف الرحمة في سعيه لتحقيق مراده. لذا اتفقت اندريا مع طوني على أن تتصل به ليلياً، مستخدمة الهاتف الخلوي الذي زودها به. فإن لم يتلق اتصالاً منها قبل الساعة الحادية عشرة، عليه أن يبلغ القنصلية البريطانية في أثينا عن احتجاز إحدى رعاياها رغم إرادتها، وإذا لم يلق آذاناً صاغية في القنصلية، عليه أن يتصل بإحدى الصحف البريطانية الشعبية راوياً قصة حفيدة كوستاكيس الشهير التي تقيم في أحد الأحياء الشعبية في لندن. أما إذا رفض جدها السماح لها بالرحيل، رغم كل هذه المحاولات، فعليها أن تجد وسيلة لمغادرة القصر، والتوجه إلى مطار أثينا حيث تركت جواز سفرها وتذكرة الإياب في خزانة مقفلة، واحتفظت بمفاتيحها معها.

ابتسمت اندريا ساخرة وهي تتأمل الحدائق الممتدة تحتها؛ حدائق أنفق جدها ثروة طائلة لتزيينها. وتذكرت الحيرة التي وقعت فيها حين وجدت نفسها مضطرة لدفع ثمن تذكرة الإياب من مالها الخاص، فلم تجد أمامها حلاً آخر سوى شراء عقد من اللؤلؤ من المتجر الذي فتح لها جدها فيه حساباً خاصاً، لتبيعه لاحقاً في متجر آخر، وتستفيد من ثمنه لشراء تذكرة السفر و تحتفظ بالباقي لتستعمله عند الحاجة.

تململ نيكوس فاسيليس خلفها ضجراً، فالابتسامة الخبيثة التي رمته بها أثارت اضطرابه، إذ لم تعامله امرأة سواها بهذه الطريقة الفظة.

خرج الخادم من جديد إلى الشرفة، واقترب من نيكوس ليبلغه بأن السيد كوستاكيس يريد رؤيته.

فألقى الرجل نظره خاطفة على المرأة الواقفة عند الدرابزين، ثم دخل إلى المنزل من دون أن يتفوه بكلمة.

***

٣ ـ مواجهة لا بد منها

بعد مرور ساعة تقريباً اقتيدت اندريا إلى غرفة مظلمة داخل القصر، فأخذت نفساً عميقاً استعداداً للجولة الأولى من الحرب. خيل إليها، للوهلة الأولى، أن الغرفة خالية، إلا أنها أجفلت مذعورة عندما سمعت صوتاً أجش يأمرها قائلاً: «اقتربي».

كانت جدران الغرفة مغطاة برفوف خشبية كدست عليها كتب من شتى الأنواع، ووضع في الوسط مكتب عريض يجلس خلفه رجل عجوز.

شعرت اندريا وكأن المسافة التي تفصل بينهما طويلة جداً، فراحت تتقدم نحوه ببطء وهي تجول بعينيها في أرجاء الغرفة وكأن أمر مضيفها لا يهمها إطلاقاً ولم تتنازل وترمقه بنظرة إلا بعد أن وجدت نفسها تقف أمامه مباشرة، لتأسرها عيناه الداكنتان الغائرتان. . فعلى الرغم من أن السنوات الثمانين تركت بصمات واضحة على وجهه، لم تفقد عيناه السوداوان بريقهما. . قال بورغوس كوستاكيس لحفيدته، التي يراها للمرة الأولى، وعيناه مسمرتان على وجهها: «حسنا! أنت إذن ابنة تلك العاهرة. لا بأس بك. . أرى أنك تفين بالغرض».

أحست اندريا بأن الأمل بكسب ود العجوز تبخر في الهواء، وهي

www.elromancia.com

تسمعه ينعت والدتها بالعاهرة.. فأخذت نيران الغضب تستعر في أحشائها، لكنها ضبطت أعصابها حتى لا تنفجر غاضبة أمامه وتخسر كل شيء فتعود فارغة اليدين إلى لندن.

ـ استديري!

اذعنت اندريا لأوامره من دون أن تتفوه بكلمة.

ـ تعجبني مشيتك.

تمالكت اندريا نفسها كي لا تعلق على كلماته اللاذعة. لكن يبدو أن صبر العجوز قد نفد فسألها: «هل قطعوا لسانك؟».

أخذت الفتاة تتأمل العجوز بإمعان وهي تبحث في عينيه السوداوين، اللتين أثارتا الخوف في نفسها، عن ومضة عطف أو لطف أو حنان. وكم كانت خيبتها عظيمة حين أدركت أن الرجل الذي حقدت عليه طوال حياتها، هو متحجر القلب فعلاً ولا يعرف الرحمة.

ـ لِمَ طلبت رؤيتي؟

جاء سؤالها هذا عفوياً، ولكنها أدركت غريزياً أنها أحسنت الصنع بإطلاق الرصاصة الأولى، إذ رأت الشرر يتطاير من عينيه وهو يقول لها: «لا تتكلمي معي بهذه اللهجة».

فأجابته على الفور وقلبها يتخبط بين ضلوعها: «قطعت آلاف الأميال تلبية لدعوتك، ويحق لي أن أعرف السبب».

ضحك العجوز هازئاً، وقال:

ـ لا يحق لك مطالبتي بشيء أبداً، لأنني أعرف جيداً سبب حضورك. فمنذ أدركت حجم المبلغ الذي خصصته لك، تغيرت لهجتك! ألم يخطر على بالك بأنني فتحت لك حساباً في متجر فخم في لندن لأنصب لك فخاً؟ عليك أن تفهمي جيداً ما سأقوله لك.. إن لم تنفذي ما أطلبه منك حرفياً، ستعودين في الحال إلى لندن. مفهوم؟

التقت عيناهما للحظات، فشعرت اندريا بثقل نظراته. لم يخطىء طوني الظن، فالعجوز يريد منها شيئاً تجهله.. ولكن كيف لها أن تساومه على المبلغ الذي تحتاج إليه، إن لم تعلم ما يريده منها بالضبط؟

سألته مستفهمة: «ما الذي تريده مني؟».

ـ سأخبرك في الوقت المناسب.

ثم رفع يده ليمنعها من الكلام وأضاف:

ـ اصعدي إلى غرفتك واستعدي للعشاء. أرجو أن تحسني التصرف أمام ضيفي، لأن نساء بلادي يتميزن بلباقتهن. وأتمنى ألا تلحقي بي العار في عقر داري. والآن، يمكنك الانصراف.

خرجت اندريا من غرفة المكتب، وقلبها يخفق بسرعة جنونية. صعدت إلى غرفتها، ثم جلست على حافة السرير، علّها تهدىء من روعها.

هذا هو جدها! لقد وقع ابنه في غرام والدتها. لكن هذا الرجل لم يتورع عن طردها من اليونان غير آبه بحملها وعوزها.. كما أنه لم يعترف يوماً بحفيدته، بل تركها فريسة للفقر والحرمان، فيما كان يعيش في النعيم. إنها لا تدين له بشيء أبداً! لا بالاحترام ولا بالعطف ولا بالوفاء!

لكن سؤالاً واحداً ظل يتردد في رأسها مثيراً قلقها: ترى ما الذي يريده منها؟

دخلت اندريا إلى الحمام، واستلقت في حوض الاستحمام بعد أن ملأته بالماء الساخن والصابون المعطر، علها تسترخي وتزيل عنها تعب النهار كله.

عند خروجها، وجدت الخادمة منهمكة في تعليق ملابسها في الخزانة. انحنت الفتاة احتراماً لها، وأبلغتها بصوت خفيض أنها أتت

تساعدها للاستعداد للعشاء.

أجابتها اندريا بحدة:

ـ لا أحتاج إلى مساعدة من أحد.

ولكنها ما لبثت أن ندمت على انفعالها، وقد رأت الذهول بادياً على وجه الفتاة. فقالت لها في محاولة للتخفيف عنها:

ـ أرجوك، لا داعي لذلك.

وتوجهت نحو الخزانة، لتجلب شيئاً ترتديه. إذا كان يورغوس كوستاكيس يظن أنها اشترت بماله ملابس باهظة الثمن، فسيصاب حتماً بخيبة أمل.

إلا أنها وقفت مذهولة أمام الرفوف المكدسة بملابس مغلفة بأكياس بلاستيكية.

ـ ما هذا؟

ـ أمر السيد كوستاكيس بشرائها خصيصاً لك، يا آنسة. وأرسلها المتجر إلى القصر منذ بضعة دقائق. ثمة أحذية وملابس داخلية أيضاً.

وبعد أن انتهت الخادمة من تعليق الفساتين سألتها برقة:

ـ أي فستان تفضلين يا آنسة؟

أجابت اندريا ساخطة:

ـ لا أريد ارتداء أي منها.

ثم أخذت سروالاً وقميصاً بسيطين ورمتهما على السرير.

ـ ولكنه عشاء رسمي يا آنسة، والسيد قد ينفجر غاضباً إن ظهرت بمظهر غير لائق.

التفتت اندريا نحو الخادمة فلاحظت الذعر على وجهها، ذعر جعلها ترضخ لمشيئتها وتعدل عن فكرة تحدي جدها، خشية أن يصب غضبه على تلك الفتاة المسكينة.

ـ حسناً، اختاري لي واحداً.

وجلست على حافة السرير تتأمل الفتاة وهي تستعرض الأثواب المعلقة في الخزانة الواحد تلو الآخر، ثم تنتقي اثنين منها، وتنزع عنهما الغلاف، لتضعهما على السرير أمام اندريا.

وقعت اندريا في حيرة، ذلك أن الفستانين كانا في غاية الروعة والأناقة. لكنها اختارت الثوب الزمردي اللون، وهو ذو فتحة عنق واسعة وتنورة طويلة تصل إلى الكاحلين.

قالت لها الخادمة بلهجة امتزج فيها الحزن بالإعجاب:

ـ إنه جميل جداً، أليس كذلك؟

ـ نعم.

ثم رمت الفتاة بنظرة عاجلة وسألتها:

ـ ما اسمك؟

ـ زوي، يا آنسة

ـ وأنا اندريا.

وقفت اندريا أمام المرآة مذهولة، تتأمل انعكاس صورتها فيها. بدت رائعة الجمال في ثوبها الأنيق الذي يبرز مفاتنها، وشعرها المرفوع بشكل منسق فوق رأسها، ولمسة التبرج الخفيفة التي زينت وجهها.

أعجبتها صورتها في المرآة، فتوجهت نحو الباب وهي مستعدة تماماً لمواجهة جدها في الخارج. كان الخادم ينتظرها ليبلغها بأن العشاء جاهز، ورغم أنه لم يجرؤ على التفرس فيها، إلا أن اندريا لاحظت نظرات الإعجاب التي رماها بها. فاستعادت في ذهنها صورة الرجل الذي قابلته بعد الظهر على الشرفة، وهو ينظر إليها بعينيه الثاقبتين، موقداً في داخلها نيران الشوق. ابتسمت اندريا للخادم ابتسامة رقيقة ثم توجهت نحو السلم الرخامي، مدركة أن الأوان قد حان

www.elromancia.com

لخوض معركة جديدة.

صعد نيكوس فاسيليس إلى سيارته الفيراري وأدار المحرك، ثم انطلق ينهب الارض نهباً والتوتر باد على ملامحه. فهذه هي المرة الثانية، خلال يوم واحد، التي يستدعيه فيها يورغوس كوستاكيس على وجه السرعة. لكنه لم يكن ينوي أن يتناول العشاء مع العجوز هذه الليلة، لأنه اتفق مع كزانتي على الخروج سوياً. إذ أمضى ليلة البارحة لحظات لا تنسى برفقتها، وكان يحترق شوقاً للقائها من جديد، والسهر معها حتى الصباح.

صحيح أن إيسم تفوقها فتنة، ولكن كزانتي تحسن التعامل مع الرجل، وتسعى جاهدة لتوفر له كل ما يحتاج إليه. غير أنه لن يتمكن هذه الليلة من موافاتها إلا بعد انتهاء عشائه مع العجوز، الذي يحاول استغلال طموحه وحبه للسلطة إلى أقصى حد. فاجتماعهما بعد ظهر اليوم لمناقشة ضم شركة فاسيليس إلى إمبراطورية كوستاكيس، لم يكن ضرورياً أبداً، لأن الموضوع يمكن تسويته بين الأقسام القانونية في كلتي الشركتين. ولكن العجوز يجد متعة في رؤيته يقطع مسافات طويلة لمقابلته، كلما لوح له بأصبعه. وتراءت له في تلك اللحظة صورة عشيقة كوستاكيس، صاحبة الشعر المتوهج، فتملكه الغضب وهو يتذكر وقاحتها، ومحاولتها إغوائه بنظراتها المثيرة. محاولة حركت فيه مشاعر غريبة، ما اضطره لبذل جهد حثيث لمقاومتها، حتى لا يقع في حبائل امرأة تربطها بالعجوز علاقة مشبوهة.

زاد نيكوس سرعة السيارة، محاولاً أن يطرد من رأسه صورة تلك المرأة. أليس حري به أن يفكر بعروسه؟ لا شك أن العجوز أخبر حفيدته عن العريس، وهي الآن تستعد لحفل الزفاف الذي تريده حتماً صاخباً!

ولكنه لن يمانع أبداً طالما أن هدفه الوحيد من الزواج بها هو إحكام

قبضته على شركات كوستاكيس.

في مطلق الأحوال، سيحاول نيكوس أن يدلل زوجته العتيدة قدر المستطاع، ويحسن معاملتها، شرط ألا تتدخل في أموره الشخصية. لأنه لا ينوي تغيير نمط حياته من أجلها. وتمنى في قرارة نفسه أن يحظى بزوجة جميلة، لطيفة المعشر، يفتخر بها أمام الناس..

توقف نيكوس أمام بوابة قصر كوستاكيس منتظراً أن يفتحها له الحرس، ثم انطلق بسرعة البرق على الطريق المحفوف بالأشجار، وكأنه يريد أن تنتهي هذه السهرة قبل أن تبدأ.

* * *

٤ ـ العروس المتمردة

وقف نيكوس في البهو المزخرف، منتظراً بفارغ الصبر دخول الخادم ليبلغ العجوز بأن العشاء بات جاهزاً. غير أن هذا الأخير لم يكن على عجلة من أمره، إذ كان مسترسلاً في الحديث عن يخت جديد اشتراه منذ بضعة أيام؛ يخت في غاية الفخامة، كلفه ثروة كبيرة. لاحظ نيكوس أن الحديث عن اليخت جعله في مزاج حسن، لأن عيناه كانتا تبرقان ارتياحاً.

ربت العجوز على كتف نيكوس بيده الضخمة وسأله:

ـ ما رأيك يا صديقي بقضاء شهر العسل على متن اليخت الجديد، هكذا تكون أنت أول شخص يقوده؟

اكتفى نيكوس برسم ابتسامة رضا خفيفة على ثغره، فتابع العجوز قائلاً:

ـ حسناً.. حسناً..

ثم أدار رأسه نحو الباب، فلاحق نيكوس نظراته، وإذا بالخادم يفتح باب البهو العريض لتدخل منه تلك المرأة الشيطانة صاحبة الشعر الناري. شعر نيكوس بقشعريرة تسري في فقرات ظهره، حاول صرفها ولم يفلح.

وقفت المرأة عند المدخل، تتلفت يميناً وشمالاً وكأنها تتأكد من

استقطابها انظار الجميع. ثم تقدمت نحوهما شامخة الرأس، وشعرها المعقوص إلى أعلى رأسها، يظهر جمال وجهها.

حبس نيكوس أنفاسه وهو يتأمل مفاتنها الصارخة التي يبرزها ثوبها الحريري الذي ينسدل برقة على جسمها. وتمنى لو أنه قادر على حملها بين ذراعيه، واصطحابها إلى بقعة نائية بعيداً عن الناس.

وتنبه فجأة إلى أن العجوز يراقبه، وفي عينيه بريق تسلية أو عبث، وكأنه قد سر برؤيته مفتوناً بعشيقته. فتملكه القنوط والتوى فمه سخطاً.

تسمرت اندريا في مكانها مذهولة وهي تنظر إلى الرجل الذي بذلت جهداً كبيراً لطرد صورته من رأسها. وعاد المشهد عينه يتكرر أمام ناظريها. إذ برقت عينا الشاب، في بادىء الأمر بإعجاب؛ إعجاب ما لبث أن تحول إلى اشمئزاز. عندئذٍ رفعت رفعت ذقنها بتحدٍ، ولمع بريق خطير في عينيها، وكأنها شعرت بالرضى لسخطه عليها. إلا أن نبضات قلبها أخذت تتسارع.

خرق العجوز الصمت الذي لف المكان، قائلاً لصهره العتيد باليونانية:

ـ ما رأيك بها؟

أجابه نيكوس، وأذناه عاجزتان عن تصديق ما تسمعانه:

ـ أحسنت الاختيار، كالعادة، يا يورغوس. جمالها يخطف الأنفاس.

ثم تابع يقول، فيما اجتاحته رغبة شديدة بمغادرة هذا المكان المثير للاشمئزاز:

ـ أحسدك عليها.

ـ يمكنني أن أتنازل لك عنها.

جمد الدم في عروق نيكوس. ما هذا؟ أيظن العجوز أنه يحتاج إلى

الترفيه قبل ارتباطه بحفيدته المجهولة تلك؟

ـ غمرتني بلطفك، ولكنني لا أستطيع أن أقبل عرضك.

رفع العجوز حاجبيه استغراباً وقال:

ـ كيف ذلك؟ حسبتك وافقت على الزواج من حفيدتي، وكنت متلهفاً للقائها..

وافتر ثغره عن ابتسامة خبيثة وقد أدرك أن كلماته وقعت على نيكوس وقع الصاعقة:

ـ أنها حفيدتي يا نيكوس. من تراك ظننتها؟

شعر نيكوس بالأرض تزلزل تحت قدميه، فسأله وكأنه يريد التأكد مما سمعه:

ـ أهذه هي حفيدتك؟

أطلق يورغوس ضحكة رنانة لأن لعبته نجحت بامتياز. فمنذ أن وقعت عيناه على الفتاة، بعد ظهر اليوم، خطر له أن ينصب فخاً لنيكوس، الذي يتوقع أن يرى فتاة قبيحة المنظر.

التفت العجوز نحو الفتاة وأومأ لها قائلاً:

ـ تعالي إلى هنا.

سارت اندريا نحوهما وقلبها يتخبط بين ضلوعها. شعرت بعيني الرجل الثاقبتين تقومانها بإعجاب باعثة فيها ذبذبات كهربائية هزت كيانها.

يا للغرابة! فهي لم تلتقِ يوماً برجل حرك مشاعرها بهذه الطريقة. إذ أحست بالغرفة تدور من حولها، وفقدت الإحساس بالزمان والمكان، ولم تعد ترى إلا تلك العينين الفولاذيتين اللتين أسرتاها بشدة حتى أصبحت عاجزة عن إبعاد عينيها عنهما.

ـ أقدم لك حفيدتي.

راح نيكوس يحدق بالمرأة الواقفة على بعد خطوات منه والدهشة بادية على وجهه.. يا لجمالها! أهي حقاً حفيدة كوستاكيس؟ مستحيل! لماذا أوحى له العجوز بأنها تفتقر إلى الشكل الحسن؟

سحب نفساً عميقاً وقد تنبه إلى وقوعه في مصيدة العجوز، مصيدة لم تثر سخطه بقدر ما خففت عنه وأبهجته. فصاحبة الشعر الناري لم تعد محظورة عليه، بل ستصبح ملكاً له وحده.

لاحظت اندريا أن ابتسامة مشرقة أضاءت فجأة وجه الشاب، فتسارعت الحرارة تغزو شرايينها، وأحست بدفء غريب في قلبها وهو يدنو منها ويأخذ يدها ليرفعها إلى فمه.

ما إن لامست شفتاه يدها برقة حتى راح قلبها يخفق بشدة حتى صعب عليها التنفس. رفع نيكوس رأسه مبتسماً وقال لها بصوت أبح وعيناه لا تفارقانها أبداً:

ـ أدعى نيكوس فاسيليس.

فردت عليه هامسة:

ـ اسمي اندريا.

ـ اندريا.. تسرني رؤيتك.

ثم أطبق أصابعه على يدها بشدة والتفت نحو مضيفه قائلاً باليونانية:

ـ كم أنت محتال يا يورغوس.. لكن دعابتك كانت تستحق العناء هذه المرة.

قطبت اندريا جبينها وقد عجزت عن فهم ما يدور بينهما. ولكن نيكوس نظر إليها مجدداً وقال:

ـ دعيني أرافقك إلى قاعة الطعام.

جاء صوته حنوناً ناعماً، فشعرت برعشة تسري في أحشائها،

www.elromancia.com

وتركته يقودها إلى غرفة الطعام الفخمة وكأنها تسبح في حلم جميل.

من تراه يكون نيكوس فاسيليس الذي يغمرها بلطفه، ويسحب لها الكرسي بلباقة لتجلس إلى طاولة الطعام؟ أرادت أن ترمقه بنظرة خاطفة وتبتسم له شاكرة، ولكن الخجل منعها. واكتفت بأن تهمس قائلة له: «شكراً لك».

جلس نيكوس قبالتها والاحساس بالارتياح يغمره، فعروسه في غاية الجمال، ويمكنه أن يكون فخوراً جداً بها. صحيح أنه لم يكن ليسيء معاملتها لو كانت قبيحة المنظر، ولكن العيش إلى جانب صاحبة الشعر الناري سيطيب له حتماً!

نظر إليها بطرف عينيه، وإذا بها تحدق بالطبق الموضوع أمامها وخداها متوردان حياءً. غير أن صورتها على الشرفة وهي تحاول إغواءه بنظراتها المثيرة وصوتها الأبح، عادت تمر في ذهنه متضاربة مع صورة الفتاة المطأطئة الرأس التي تجلس قبالته. فقطب جبينه استغراباً، لكنه ما لبث أن فطن إلى أن تعابير الاشمئزاز التي ارتسمت على وجهه، حينها، أثارت على الأرجح حفيظتها، فتصرفت بتلك الطريقة.

وعاد سيل التساؤلات يتدفق إلى ذهن نيكوس، إذ بدا واضحاً أن الفتاة إنكليزية المظهر واللهجة، فالتفت نحو مضيفه قائلاً:

ـ لم تقل لي إن حفيدتك تحمل في شرايينها دماً إنكليزياً.

ولاحظ، على الفور، وهو يوجه الحديث إلى مضيفه باليونانية، أن الفتاة رفعت عينيها وركزت نظرها عليه، وكأنها تحاول أن تفهم ما يقوله.

أجابه يورغوس وعيناه تبرقان بسخرية:

ـ أردت أن أفاجئك.

لوى نيكوس فمه وهو يقول:

ـ مفاجأة أخرى!

وحول نظره إلى اندريا وسألها باليونانية:

ـ هل تقيمين في إنكلترا مع والدتك الانكليزية الأصل؟

فتحت اندريا فمها لترد عليه، ولكن جدها سبقها ورد عليه بالانكليزية:

ـ إنها لا تتكلم اليونانية.

اتسعت عينا نيكوس وهو يسأله متعجباً:

ـ كيف ذلك؟

ـ أرادت والدتها أن تربيها على طريقتها الخاصة.

رفعت اندريا عينيها إلى جدها فتشابكت نظراتهما، نظرات ملؤها العزم والوعيد. فتردد صدى الكلمات القاسية التي تفوه بها بعد ظهر اليوم في رأسها: إن لم تنفذي ما أطلبه منك حرفياً، سأعيدك فوراً إلى لندن.

أحست اندريا بقشعريرة تسري على طول عمودها الفقري. أتراه سيروي لضيفه رواية لا أساس لها من الصحة عن ظروف نشأتها؟ وماذا ينبغي عليها أن تفعل؟ أتبقى مكتوفة اليدين تصغي إلى أكاذيبه خاضعة كي لا يعيدها إلى لندن فارغة اليدين؟ إنها لا تستطيع أن تعود فارغة اليدين، لأن كيم بحاجة ماسة للمال. عليها أن تتحمل عجرفة جدها وتسلطه مهما كلفها الأمر.. وهكذا، أقفلت فمها والتزمت الصمت.

لم يستطع نيكوس أن يتجاهل ومضة التمرد التي بدت في عيني الفتاة الكهرمانيتين! كيف يعقل أن تترعرع في إنكلترا وتحرمها أمها من إرثها الطبيعي ولغتها الأم؟ أي نوع من الأمهات هي؟ لا شك أنها امرأة إنكليزية استقراطية الأصل، سليطة اللسان، متعجرفة، تهوى الحفلات والاجتماعات الراقية. ولكن ما الذي دفعها للزواج من اندرياس

www.elromancia.com

كوستاكيس؟

فلو لم يمت هذا الأخير في ريعان الشباب، لكان مصير زواجهما الفشل حتما!

وتعجب نيكوس في سره كيف سمح العجوز للأرملة باصطحاب حفيدته معها إلى لندن بعد وفاة والدها، ولم يصر على إبقائهما تحت جناحيه. فها هو اليوم يدفع ثمن ذلك غالياً، لأن حفيدته لا تجيد لغتها الأم.

راح نيكوس يتأمل عروسه وهي تتناول طعامها بشهية كبيرة، وفي عينيه بريق تسلية! وتذكر في تلك اللحظة بأنه لا يعرف سنها، فحين رآها للمرة الأولى، خيل إليه بأنها في الخامسة والعشرين. غير أنه لا يعقل أن تبقى فتاة يونانية عازبة حتى هذه السن. لا شك أنه أخطأ في التخمين.

لكم ودّ نيكوس أن يستفهم من يورغوس ما إذا كانت حفيدته قد انقادت، على غرار معظم الفتيات الانكليزيات في مثل سنها، وراء أهوائها، ولم تحافظ على عذريتها وفقاً للتقاليد اليونانية. إلا أنه أرتأى ألا يفعل، لأنه مصمم على الزواج بها مهما كان رد العجوز، وذلك كي يضع يده على شركات كوستاكيس التي قدمها له يورغوس كمهر للعروس.

أحبت اندريا الأطباق الشهية التي وضعت أمامها على الطاولة، فانهمكت في تناول الطعام والتلذذ به، ونسيت أمر الرجل الجالس قبالتها لبعض الوقت.

لم تكد أعصابها تهدأ بعض الشيء، حتى عاد يسألها:

ـ أين تقيمين في انكلترا؟

ـ في لندن.

ـ إنها مدينتي المفضلة.. لا أظنك تعرفين الملل فيها.

ـ هذا صحيح.

وكيف لها أن تعرف الملل وهي تشغل وظيفتين وتعمل في المساء وخلال عطلة نهاية الأسبوع كي تدخر كل فلس تجنيه لتسديد ديون والدتها؟

ـ ما هو الملهى المفضل لديك في لندن؟

وذكر لها اسم ملهى رواده من الطبقة الأرستقراطية، كانت اندريا قد قرأت عنه في أحد المجلات.

ـ لا أحب الملاهي الليلية.

فهي لا تملك متسعاً من الوقت للخروج ليلاً، كما أن الموسيقى الصاخبة لا تستهويها. فمنذ نعومة أظفارها زرعت كيم فيها حب الموسيقى الكلاسيكية. أعجبه ردها، فسألها بفضول:

ـ ما الذي تحبينه اذن؟

ـ أحب المسرح.

في الواقع، لطالما جذبتها العروض التي تقدمها فرقة شكسبير الملكية، ولكن بطاقات الدخول إليها مرتفعة الثمن، وهي لم يكن بإمكانها أن تدلل نفسها وتدفع غالياً. وتابعت تقول له:

ـ أحب مسرحيات شكسبير.

شعرت في الحال بأنها أخطأت القول، لأنها قرأت في عيني جدها تعابير الاستهجان. ولكن ما العيب إن كانت من هواة مسرحيات شكسبير؟ قال لها العجوز بفظاظة:

ـ لا يحب الرجال النساء اللواتي يدعين الثقافة.

رفرفت اندريا بعينها مذهولة وأجابت:

ـ أظن أن مسرحيات شكسبير شعبية بمعظمها، على الرغم من أنه

يتعذر على البعض فهم أبعادها. إلا انها ترضي المشاهد على مستويات عدة، والنسخات الحديثة منها تهدف إلى جذب أمثالك من الناس الذين يهابون الهالة التي تحيط بشكسبير.

وضع يورغوس سكينه وشوكته جانبا، والشرر يتطاير من عينيه:

ـ كفاك تفوهاً بالحماقات! وإن لم يكن لديك شيء مفيد تقولينه، الزمي الصمت، فالرجل لا يحب المرأة المدعية.

لم تكد اندريا تصدق أذنيها وهي تسمعه ينتقدها لحبها لشكسبير. ووجدت نفسها ترمق نيكوس بنظرة خاطفة، متسائلة في سرها ما إذا كان يشارك جدها رأيه حول: «النساء اللواتي يدعين الثقافة».

غير أنها شعرت بالارتياح حين بدت في عينيه نظرات عاتبة، فقال لها وكأنه يخفف عنها وطأة تأنيب جدها، متجاهلاً الاستهجان الظاهر على وجه هذا الأخير:

ـ ما هي مسرحيتك المفضلة؟

ـ «ضجة صاخبة من أجل شيء تافه». فقد احببت كثيراً صراع البطلين الكلامي الذي لا ينتهي. فالبطلة لا تتوانى عن رد الصاع صاعين للبطل كلما وجه لها انتقاداً أو كلاماً قاسياً.

توترت ملامح وجه نيكوس وهو يصغى إلى عروسه العتيدة تدافع عن بطلة تجيد الجدال الكلامي، و تمنى في قرارة نفسه لو أن حفيدة يورغوس كانت يونانية الطبع، إذ لا تجرؤ المرأة في اليونان على الرد بفظاظة على زوجها مهما حصل.

لاحظت اندريا تعبير الاستنكار على وجهه، فأدركت أن خيارها لم يرق له، فالنساء في نظر نيكوس فاسيليس لسن سوى مجرد قطعة للزينة. ولكنها لن تكترث لرأي نيكوس أو جدها في النساء، لأنها لا تسعى لكسب رضاهما عليها.

عادت اندريا تلتهم طعامها بشهية، فيما كان ذهن نيكوس مشغولاً بالمرأة التي اختارها يورغوس عروسا له، والتي أثارت غضبه، من دون أن يردعها رادع.

أنهى العجوز طعامه، فدفع كرسيه إلى الخلف بحدة وقال:

ـ سنتناول القهوة في الشرفة بعد أن أطلع على آخر التطورات في الأسواق المالية الأميركية.

والتفت نحو نيكوس مضيفاً:

ـ انضم إليّ بعد عشرين دقيقة.

ثم أدار ظهره وغادر الغرفة من دون أن يوجه إلى اندريا كلمة واحدة.

رفع نيكوس عينيه إليها وقال:

ـ لم يفقد حبه للسيطرة على الرغم من تقدمه في السن.

ردت عليه بنبرة ساخرة:

ـ أظنه يملك ما يكفي من المال ليبقى كذلك.

ـ من السهل عليك أن تقولي ذلك، لأنك تعيشين في ترف منذ صغرك.

حدقت به والدهشة بادية على وجهها، ما الذي لفقه جدها عنها؟

لم تعلق اندريا على كلامه، وقد تذكرت بأنه ضيف الرجل الذي سيمول سفر والدتها إلى إسبانيا، ولا ضرورة لأن تكشف له أسرارها العائلية. اقترب نيكوس منها وأمسك بيدها قائلاً، وعلى ثغره ابتسامة رقيقة:

ـ هيا بنا نستغل هذه الدقائق العشرين.

رافقته اندريا من دون اعتراض، وهي تدرك بأن رفقته تروق لها أكثر من رفقة جدها المتسلط. فاصطحبها إلى الشرفة عينها حيث التقيا

للمرة الأولى بعد ظهر اليوم.

كان الظلام يلف المكان، والسماء مرصعة بالنجوم، وضجيج الحشرات يملأ الآذان. وقفت اندريا قرب الدرابزين والهواء العليل يداعب وجهها، فسألته متعجبة:

ـ ما هذا الصوت؟

ـ إنها الزيزان.

وشعرت به خلفها، فقفز قلبها بين ضلوعها.

ـ إنها شبيهة بالجنادب وتعيش وسط الشجيرات، فمعظم دول حوض البحر المتوسط تتميز بهذا الصوت في الليل. أظنك سمعته من قبل.

هزت رأسها نفياً، وذهنها شارد. فقد تذكرت في تلك اللحظة أن والدتها أخبرتها، ذات مرة، أنها لطالما تنزهت، ويدها بيد الرجل الذي أحبته، على شاطىء البحر، وضجيج الزيزان يصم آذانهما.. فاعتصر الألم فؤادها. لماذا حرمها القدر من والدها باكرا؟

سألها نيكوس بصوت خافت وأصابعه تداعب كتفها:

ـ ما الذي تفكرين فيه؟

أثارت لمسته رعشة في أحشائها، فأجابته بنبرة هادئة محاولة الحفاظ على برودة أعصابها:

ـ أفكر بشخص أحبه كثيراً.

وتنبهت في تلك اللحظة، إلى أنه لم يمض على تعارفهما سوى ساعات قليلة، وعليها ألا تسمح له بلمسها بهذه الطريقة. فحاولت أن تبتعد عنه ولكنها لم تفلح.

وعاد يسألها بنبرة لم تخل من الانفعال:

ـ أهو رجل؟

ـ نعم.

ـ ما اسمه؟

التفتت اندريا نحوه مرتبكة، إذ لم تتوقع أن يثير كلامها غضبه. فأجابته بحدة:

ـ اندرياس.

ازدادت ملامحه توتراً وهو يسألها:

ـ من هو اندرياس؟

ـ اندرياس كوستاكيس.. والدي.

ـ والدك؟ ولكن هل عرفته؟

هزت رأسها نفياً، وأجابته وفي حلقها غصة:

ـ كلا، ولكن والدتي حدثتني عنه.

ـ ما الذي قالته لك؟

ـ أخبرتني أنهما أحبا بعضهما حباً جماً، ولم يبخل عليها بشيء. ثم مات والدي وانتهى الحلم..

وتوقفت فجأة عن الكلام وقد اغرورقت عيناها بالدموع، دموع أغشت بصرها وحواسها، فلم تشعر به وهو يضمها بين ذراعيه ويضع رأسها على صدره معزياً!

لم تستطع اندريا الابتعاد عن هذا الرجل الغريب الذي أغدق عليها حنانه، وعاملها برقة قلما وجدتها لدى الغرباء.

ـ آسفة. أظن أن وجودي في المنزل الذي ترعرع فيه أثار الذكريات.

وحاولت الابتعاد عنه إلا أنه أمسك بكتفيها كي تبقى قريبة منه.

ـ لا تخجلي من البكاء عليه، فهو يستحق دموعك هذه.

كانت الدموع تترقرق من عينيها وفمها المثير يرتجف، فلم

www.elromancia.com

يستطع أن يمنع نفسه من معانقتها.

عانقها بعاطفة محمومة كادت تفقدها صوابها. فلفت اندريا ذراعيها حول عنقه تشجعه على احتضانها أكثر. ومع أنها استمتعت بكل لحظة من عناقهما، إلا أن شعوراً مدمراً تملكها وشعرت كأنها فقدت السيطرة على نفسها.. كانت تشعر بكل خفقة في جسدها وبالدم يسرى حاراً في عروقها.

وفجأة ابتعدت عنه مصعوقة وقالت:

ـ لا!

ولكنه لم يفلتها. فعادت تهمس قائلة: «لا».

وحاولت دفعه بعيداً عنها. فاستجاب على الفور لرغبتها، مطلقاً سراحها، وكل خلية من خلايا جسمه تتوق إليها. فهو يريدها بكل جوارحه، كما لم يرد امرأة من قبل. ما هذا الإحساس الغريب الذي ينمو في أحشائه؟ فلأول مرة في حياته، يطغى عليه حب الامتلاك.. إنه لم يشعر يوماً بالغيرة من معجبي إيسم فاندرسي الكثر أو من أصدقاء كزانتي الذين يتهافتون لنيل رضاها. ولكن إن خيل إليه للحظة واحدة أن اندريا كوستاكيس تفكر برجل سواه، لجن جنونه.

وتنبه في تلك اللحظة إلى أن تيار المشاعر الجياشة جرفه بعيداً. ولكنه خشي أن تصاب بالرعب وتنفر منه، فقال لها برقة:

ـ لا تخافي يا اندريا.. واعذريني لأنني أردت أن استعجل الأمور.

والتوى فمه ساخراً وهو يضيف قائلاً:

ـ من الصعب جداً مقاومة جمالك..

ارتجفت اندريا وهي تسمع كلماته هذه. كيف يعقل أن يغدو مفتوناً بها، ولم يمضِ على تعارفهما سوى ساعات قليلة؟

ـ لا تنظري إلي بهذه الطريقة. لن ألمسك ثانياً إلا إن طلبت مني ذلك.

وتراجع قليلاً إلى الخلف وهو يتابع كلامه قائلاً:

ـ تعالي معي.. علينا أن نتحدث في أمور كثيرة.

وأمسك بيدها وقادها إلى ركن هادىء في آخر الشرفة، تاركاً التساؤلات تتدافع في رأسها، ونبضات قلبها تتسارع بشدة.

ما الذي تفعله على هذه الشرفة التي يضيئها نور القمر برفقة رجل خطف أنفاسها؟ رجل لم تقابله قط في حياتها؟ وعدها بألا يلمسها ثانية.. ولكن، ماالذي قاله لتوه؟ ما هي الأمور التي عليهما أن يتحدثا عنها؟ أتراه سيحاول الضغط عليها، بطريقة لبقة، لتخبره المزيد عن حياتها الشخصية؟

سألته والحيرة تتآكلها:

ـ لِمَ علينا أن نتحدث سويا؟

التفت نحوها، فسحرتها أهدابه الطويلة الكثيفة، وفاتها أن تسمع رده. فعادت تسأله وقد شعرت بتقلص في صدرها:

ـ ما الذي قلته؟

ابتسم لها ابتسامة عريضة وقال:

ـ قلت يا عروسي الجميلة، إن علينا أن نتحدث معاً بشأن حفل الزفاف.

فاحست بقلبها يتوقف عن الخفقان.

* * *

٥ ـ ثمن العمر الضائع

تبدلت تعابير وجهها بلمح البصر، وكأنها تحولت من إنسانة رقيقة ضعيفة إلى وحش كاسر. فسحبت يدها من يده بحدة، وابتعدت عنه صارخة، من هول المفاجأة:

ـ ماذا قلت؟

فأجابها بصوت هادىء:

ـ زفافنا!

تملكها الذعر، فانعقد لسانها عن الكلام.. إلا أنها ما لبثت أن استجمعت قواها وقالت له بصوت خافت:

ـ رباه! إنك مجنون فعلاً!

رفعت تنورة فستانها الضيقة، وأسرعت تعدو نحو البوابة الكبيرة في آخر الشرفة، تريد الهرب إلى غرفتها. ولكنه لحق بها بسرعة البرق، وأمسك بمعصمها بشدة، حتى كادت أصابعه تهشم عظامها.

ـ ماذا قلت؟

ـ دعني أذهب.

واتسعت عيناها خوفاً وهي تجاهد للتخلص من قبضته. أما نيكوس فقد أربكته ردة فعلها العنيفة، فقال لها محاولاً أن يهدىء من

روعها:

ـ جل ما أردت قوله هو أنني أفضل أن يتم الزواج في اليونان..

ـ الزواج؟

ـ أجل.. ولكن ما سبب تصرفاتك الغريبة هذه ياأندريا؟

ـ الزواج بك؟

التوى فمه سخطاً، فحملق بها والشرر يتطاير في عينيه، ثم قال بحدة:

ـ علينا أن نتحدث..

هزت اندريا رأسها وهي تتمايل يميناً وشمالاً، محاولة الابتعاد عن هذا الرجل. لا شك أن مساً قد أصابه لكي يحدثها عن الزواج، وهما بالكاد يعرفان بعضهما.

ـ هلا قلت لي لم سمحت لي بأن أعانقك إن كنت لا تبغين الزواج بي؟

شعرت أندريا بضربات قلبها ترعد في أذنيها وتجمد الدم في عروقها. فحاولت أن تدفعه بعيداً عنها، ولكنه بقي مسمراً في مكانه.

ـ يا إلهي؟ لقد فقدت صوابك كلياً!

سحب نيكوس نفساً عميقاً وهو يجاهد ليحافظ على رباطة جأشه، فنوبة الهستيريا التي انتابتها لا مبرر لها أبداً. أترها تجهل كلياً أمر زفافها؟ مستحيل! لا شك أنها على علم بالموضوع. ولكن، لِمَ ثارت ثائرتها؟ أتراها لا تريد الزواج به؟

أشعلت هذه الفكرة نيران الغضب في داخله. كيف تجرؤ على إغوائه وتحريك مشاعره إن كانت معترضة على زواجهما؟ ولكن.. ما سبب اعتراضها عليه؟ ألأن والدته كانت تعمل نادلة ووالده بحار مجهول؟

www.elromancia.com

كان حري بها أن تخبر جدها صراحة بذلك، مع العلم أن يورغوس كوستاكيس ليس من النوع الذي قد يتأثر باعتراضات حفيدته حول أصول زوجها العتيد الاجتماعية. طرد نيكوس هذه الفكرة من رأسه، مؤكداً لنفسه أن العجوز قلما يأبه لرأي الآخرين. وعاد يحاول أن يخفف عن الفتاة قائلاً:

ـ اهدئي قليلاً... لن ندخل إلى المنزل قبل أن تهدئي.

إلا أن اندريا عاجلته برفسة على مقدمة ساقه أفقدته توازنه. فدفعته إلى الخلف بكل ما لديها من القوة، وتوجهت راكضة نحو الباب المفتوح على مصراعيه. تجاهل نيكوس ألمه واندفع خلفها مسرعاً، فأمسك بها عند عتبة باب قاعة الطعام وصرخ في وجهها قائلاً:

ـ كفى!

وأمسك بكتفيها وراح يهزها بفظاظة مضيفاً:

ـ تعقلي وكفاك جنوناً...

أدرك نيكوس في تلك اللحظة أن الغضب الذي سيطر عليه نابع من رفضها الكلي لفكرة الزواج به. فقد عقد العزم، منذ أسبوعين تقريباً، على الزواج بفتاة لم يرها في حياته، على الرغم من الشكوك التي ساورته.. وها هو يرى هذه الفتاة اليوم تثور غاضبة، وكأن نيكوس فاسيليس يثير قرفها.

تسارعت نبضات قلب اندريا وكأن أذناها لا تصدقان ما تسمعانه..

ـ أظنك تمزح، أليس كذلك؟

تجهم وجه نيكوس وأجابها ببرودة:

ـ أنت وريثة كوستاكيس الوحيدة، وأنا الشخص الذي اختاره ليحل محله بعد تقاعده.

ـ وريثة كوستاكيس!

وأطلقت ضحكة هستيرية وتابعت تقول:

ـ أتقصد أنك وافقت على الزواج بي لأنني حفيدة يورغوس كوستاكيس وأنت تطمح لوضع يدك على شركاته؟

ـ هذا صحيح!

سحبت نفساً عميقاً. وقالت له:

ـ يؤسفني أن أخيب ظنك، ولكن عليك أن تجد وريثة أخرى لتتزوج بها!

واستدارت لتدخل إلى المنزل، وقد أحست بحاجة ملحة للفرار. إلا أن يده اعترضت طريقها، وقال لها بنبرة ناعمة جعلت قلبها يتخبط بين ضلوعها:

ـ لِمَ تتصرفين بعدوانية؟

التفتت نحوه ببطء فإذا به على مقربة منها!

ـ عدوانية؟ أظنك نسيت يا سيد فاسيليس أنك ضيف جدي، وعليك ألا تتجاوز حدود اللياقة التي يفرضها عليك دورك. ولكن، إن كنت تتخيل بأن عناقك لي على الشرفة سيتحول إلى طلب زواج، فأنت حتماً قديم الطراز. وأنصحك بألا تحاول ابتزاز جدي ليزوجني بك، لأنني ارتميت بين أحضانك كالمغفلة!

شعرت اندريا بالسخط من تصرفاتها الحمقاء، فأحست بتوتر في حلقها وهي تدرك بأن عناقه كان مجرد حيلة رخيصة لإيقاع حفيدة يورغوس كوستاكيس في حبائله. نظر إليها نيكوس والصدمة باديه على وجهه.

ـ أبتزه؟ كيف تجرؤين على توجيه هذا الاتهام لي؟

ـ ماذا تسميه إذن؟ أؤكد لك أن جدي سينفجر ضاحكاً حين أخبره

بأنك تريد الزواج بي بهدف وضع يدك على شركاته.

ـ أنت مخطئة، فالفكرة هي فكرته في الأساس.

تسمرت أندريا في مكانها.

ـ أتقصد أن جدي متآمر معك، ويريد أن يزوجني بك؟

ـ طبعاً!

أيعقل أن يخفي عنها أمراً مماثلاً؟ أيعقل أن يستخف بها إلى هذا الحد ولا يتكبد عناء استشارتها في مسألة زواجها؟

ـ هلا أوضحت لي الأمر.. قلت إن جدي طلب منك أن تتزوج؟

ـ مقابل إطلاق يدي في شركات كوستاكيس بعد تقاعده، أي بعد زواجنا.

أجابته بنبرة خلت من أي تعبير:

ـ كم هذا جميل!

ـ حقا؟

هزت اندريا رأسها وكأنها تريد أن تتأكد أن ما سمعته صحيح. فشعر أنها ستصاب بدوار إذا ما استمر هذا الحديث، لذا فضلت أن تنسحب.

ـ أرجو المعذرة!

عبرت اندريا غرفة الطعام والغيظ يتآكلها ويغشي بصرها. توجهت نحو غرفة المكتبة، لتجد جدها جالساً أمام شاشة الكمبيوتر مقطب الجبين. وما إن تنبه لوجودها حتى رفع نظره إليها وصرخ قائلاً:

ـ أخرجي من هنا.

غير أنها لم تكترث لكلامه، وتابعت تسير بخطى ثابتة نحوه، قائلة، وهي تشير برأسها إلى الرجل الذي لحق بها ووقف عند عتبة الباب:

ـ هذا الرجل يدّعي أنه اتفق معك على الزواج بي. وأريدك أن تقول له بأن ذلك مستحيل؟

توترت ملامح جدها، وأجابها قائلاً:

ـ كلامه صحيح، ولهذا السبب أرسلت في طلبك! والآن، اغربي عن وجهي لأنك تزعجينني.

شعرت اندريا بالغثيان، فقالت له بصوت مرتجف:

ـ هل فقدت صوابك؟ أتظن أنني سأنصاع لأوامرك خاضعة؟

نهض يورغوس كوستاكيس من مكانه، فترنحت اندريا أمام نظراته الشاحبة، إلا أنها بذلت جهداً بالغاً لتتماسك أمامه وتتابع كلامها قائلة:

ـ لا شك أنك أصبت بمس. لكن..

قاطعها مزمجراً:

ـ اصمتي واصعدي إلى غرفتك. ستتحدث في الموضوع في الصباح.

ـ ماذا؟ من تحسب نفسك لتصدر لي الأوامر؟

ـ أنت حفيدتي ومن واجبك أن تطيعيني.

ـ كلمة «الطاعة» ليست مدرجة في قاموسي.

ضاقت عينا نيكوس الذي كان يقف خلفها، إذ لم يسبق له أن رأى أحدهم يتحدى يورغوس كوستاكيس بهذه الطريقة.

ـ غادري الغرفة في الحال، وإلا جعلتك تندمين على كل كلمة تفوهت بها، مفهوم؟

وضغط على زر قرب مكتبه، وتكلم عبر المذياع باليونانية، ثم عاد يحدق بها غاضباً..

كانت اندريا تقف أمام المكتب ونيران الغضب المستعرة في

www.elromancia.com

داخلها تعمي بصيرتها. فهي تعلم جيداً أن جدها لن يتوانى لحظة واحدة عن استغلالها، إن أظهرت له خوفها منه. ولكنها لن ترتكب الخطأ نفسه الذي ارتكبته والدتها، وعليها أن تتحداه مهما كلف الأمر. فمن الذي سمح له بالتحكم بحياتها على هواه؟ لا أحد يملك الحق بتقرير مصيرها.

ـ سأغادر الغرفة إن قلت لي إن هذا المعتوه..

اكفهر وجه جدها وقاطعها قائلاً:

ـ صه! إياك أن تلحقي العار بي في عقر داري أيتها المشاكسة. وأمنعك من التحدث عن زوجك العتيد بهذه الطريقة.

اتسعت عيناها دهشة وهبت تقول له:

ـ لا أظنك تعي ما تقوله. مستحيل! قل لي إنها مجرد دعابة سخيفة!

ـ كيف تجرؤين على رفع صوتك في وجهي؟ لِمَ تحسبين أنني أرسلت في طلبك إذاً؟ ستتزوجين نيكوس فاسيليس الأسبوع المقبل، شئت ذلك أم أبيت. اصعدي الآن إلى غرفتك.

ـ لا أظن أنك أحضرتني إلى هنا بهدف تحقيق مآربك الشخصية. هذا فظيع.. هل أنت مجنون لتفكر بهذه الطريقة؟

وقبل أن تعي اندريا ما يحصل، رفع جدها يده الضخمة وصفعها بقوة على خدها الأيمن مشعلاً في داخلها نيران الألم والحقد، فتراجعت خطوة إلى الوراء، متعثرة بفستانها الطويل.

ـ اصعدي إلى غرفتك في الحال!

ـ إن صفعتني ثانية سأرد لك الكيل كيلين أيها العجوز الشرير!

ـ اغربي عن وجهي!

أخذت اندريا نفساً عميقاً ثم قالت له:

ـ سأصعد إلى غرفتي ولكن عليك أن تفهم أولاً بأنني لست لعبة بين يديك تستخدمها لمآربك الشخصية. وبما أنك اخترت لي عريساً من دون أن تستشيرني أولاً، فعليك أن تتحمل العواقب.

رفع العجوز يده ثانية ليصفعها، ولكن ذراعها كانت له بالمرصاد في الوقت المناسب، وعندئذٍ صرخ نيكوس بصوت أجش:

ـ كفاكما!

كانت قسمات وجه يورغوس تلتوي من الغضب، وعيناه تومضان شراً، إلا أن اضطرابها الشديد حال دون رؤيتها ذلك. في تلك اللحظة، دخل من الباب رجلان ضخما الجثة، ووقفا في وسط الغرفة، ينتظران أن يصدر السيد أوامره.

فهب يورغوس قائلاً:

ـ أخرجاها من هنا.

ولكن نيكوس أمرهما قائلاً:

ـ لا تفعلا!

ثم التفت نحو يورغوس وأضاف:

ـ لاداعي لذلك!

ـ أخرجها إذن من هنا. وأنصحك بأن تجلب معك سوطاً لتتمكن من لجمها!

صرخت اندريا قائلة:

ـ أيها السافل!

فتأبط نيكوس ذراعها، وأخرجها على الفور من الغرفة خشية أن يبدأ العراك من جديد. لم تحاول اندريا مقاومته، وكأنها شعرت فجأة بحاجة ملحة للفرار بعيداً عن هذا العجوز المتسلط. إلا أنها ما لبثت أن أخذت تتململ، محاولة التملص من ذراعه:

ـ دعني وشأني.

أطلق نيكوس سراحها وقال لها:

ـ أيتها المتوحشة! ما الذي أصابك؟ ألم يكن بوسعك أن تتحدثي بأسلوب حضاري؟

ـ ما بك تدافع عنه؟ أنسيت أنه صفعني؟

ـ لا أدافع عنه، ولكن...

أخذ نيكوس يحدق بالمرأة التي وافق على الزواج بها، والتوى فمه سخطاً. إذ تبين له أنها ورثت طباع جدها الحادة، فهي مشاكسة إلى أقصى حد! اجتاحته نوبة من الغضب وهو يتذكر الجدال العنيف الذي دار بين العجوز وحفيدته المدللة. لماذا أخفى عنها أمر العريس الذي اختاره لها فراحت تبث سمومها في كل مكان؟

شعر نيكوس برغبة باحتساء شراب بارد عله يستعيد هدوءه. فسألها وهو يرمقها بنظرة عجلى:

ـ أتريدين كوباً من العصير؟

صعق لرؤية خدها الملتهب، فاقترب منها ليتفحصه عن كثب، إلا أنها دفعته بعيداً صارخة:

ـ لا تلمسني.

ـ لا بأس، سأحضر لك شراباً بارداً.

وتركها تدخل إلى غرفة الجلوس، بعد أن تأكد من انصراف حارسي العجوز، ثم ذهب ليجلب العصير. عند عودته، وجدها مسترخية في أحد المقاعد الوثيرة، وقد بدأ نشنجها يتبدد.

ناولها الكأس قائلاً:

ـ اشربي.

ارتشفت اندريا جرعة من العصير، فأحست بنيران الغضب تخمد

في أحشائها. كان نيكوس يقف على بعد خطوتين منها وعلى وجهه علامات القنوط. غير أن الوقت لم يكن مناسباً لتعبره اهتمامها. فوقع الصدمة كان قوياً جداً عليها، ومن الأفضل لها أن تغادر هذا المكان في الصباح الباكر، وتعود إلى حضن أمها الدافىء.

وسمعت نفسها تسأله:

ـ أصحيح ما قاله لي؟ أصحيح أنكما اتفقتما على زواجنا؟

ـ نعم.

ثم أضاف بلهجة ساخرة:

ـ حسبت أن جدك نال موافقتك على هذا الزواج!

ـ السافل!

تصلبت ملامح نيكوس. صحيح أنه لا يكن المحبة ليورغوس، ولم يحبذ صفعه لها، ولكنها منفلة حتماً إن ظنت أن جدها قد يتقبل تحديها له أمام زوجها العتيد، من دون أن يعنفها...

فيورغوس كوستاكيس لا يرضى بأن يتعرض للإهانة أمام الرجل الذي سيتولى زمام الأمور في إمبراطوريته. فضلاً عن أن اندريا تدين له بالاحترام لأنه لم يبخل عليها بالمال لتعيش عيشة مترفة.

ـ إياك والتفوه ثانية بهذه الكلمات البذيئة!

ـ هل ستضربني بالسياط كما قال لك؟

اجتاحت نيكوس رغبة جامحة بمغادرة هذا المنزل الذي يعج بالمجانين، والاحتماء منهم في أحضان كزانتي الرقيقة والحنونة. فهي تهوى تدليله، وتسهر على راحته، ولا تتكلم إلا إن أذن لها بالكلام.

ولكن كزانتي بعيدة عنه آلاف الأميال، وليس أمامه سوى هذه الفتاة المتهورة الحادة الطبع.

ـ عليك أن تتوقفي عن التصرف كفتاة مدللة بذيئة اللسان.

www.elromancia.com

هبت اندريا واقفة وقالت له بحدة:

ـ من الأفضل أن تنصرف يا سيد فاسيليس.

وتوقفت قليلاً عن الكلام ثم تابعت تقول ببرودة:

ـ إن فكرت ثانية بالزواج بإحداهن، أنصحك بأن تقف عند رأيها في الموضوع قبل البت فيه! أعرف جيداً أنك تتوق لوضع يدك على شركات كوستاكيس، ولكنني أرفض الارتباط بشخص يحب اقتناص الثروات مثلك!

ووضعت كأسها على الطاولة بقوة، واندفعت خارج الغرفة تاركة نيكوس مسمراً في مكانه والشرر يتطاير من عينيه. ولم تمض عشر ثوانٍ، حتى كان يقود سيارته الفيراري بسرعة قصوى، مغادراً منزل كوستاكيس، والسخط قد بلغ منه مبلغاً.

كادت أصابع اندريا ترتجف وهي تضغط على أزرار الهاتف الخلوي الذي أعارها إياه طوني، وقد أنهكت أحداث الساعات الأخيرة قواها. لم تتماد كثيراً في التحدث إلى طوني، بل دخلت مباشرة في صلب الموضوع:

ـ لم تسر الأمور على ما يرام ياطوني وعليّ أن أعود غداً إلى لندن.

ابتلعت ريقها وتابعت تقول:

ـ لا داعي للقلق! سأتصل بك غداً صباحاً من مطار أثينا. وإن لم أفعل، أطلق صفارة الإنذار الصفراء. وإذا لم أتصل بك حتى مساء الغد، عندئذٍ أطلق صفارة الإنذار الحمراء. اتفقنا؟

اقفلت اندريا الخط وهي تشعر بالامتنان لسماعها صوت طوني المألوف، بعد الجلبة التي وقعت في هذا المنزل الغريب عنها لساعات خلت. ثم خلدت إلى فراشها آملة أن تأخذ قسطاً من الراحة وتستعيد

قواها كاملة لمواجهة ما ينتظرها في الغد من مفاجآت.

أيقظتها خادمتها زوي في ساعة متأخرة من صباح اليوم التالي لتبلغها بأن جدها يطلب رؤيتها في الحال. يا لها من صدفة غريبة! فهي أيضاً تريد رؤيته لتعلمه برحيلها.

ارتدت اندريا ملابسها على عجل، ولحقت بالخادمة عبر الرواق الطويل إلى غرفة جدها، فوجدته جالساً في سريره الضخم مستنداً إلى وسادات وثيرة، وعلى وجهه علامات الإرهاق. فعزمت في سرها على أن تبذل جهداً للحفاظ على تهذيبها.

اقتربت من سريره، فأحست بنظراته المتفرسة تخترق دفاعاتها كلها. وإذا به يقول بلهجة خبيثة:

ـ أرى أنك أسوأ مما كنت أتخيل، فقد فاقت وقاحتك الوصف! كان علي أن أنتزعك من والدتك وأربيك بنفسي لتتعلمي احترام الآخرين.

تبددت نواياها الحسنة في الحال، وأخذ الغضب يغلي في عروقها. ولكنها وجدت أن الظرف ليس ملائماً لتفقد السيطرة على نفسها فبقيت مسمرة في مكانها، تحدق في الرجل الجالس أمامها، وتحاول عبثاً إيجاد رابط بينهما.

ـ حبذا لو أنك صنت لسانك مساء البارحة، ولم تفضحي نفسك بشكل مقيت أمام زوجك.

ـ نيكوس فاسيليس ليس زوجي. ولن يصبح زوجي أبداً.

ـ لا أظنه يرغب برؤيتك ثانية بعدما فعلته ليلة البارحة. ولكن عليك أن تعلمي أن مهرك وحده، أي شركات كوستاكيس، سيجعل منك زوجة شريفة لرجل نبيل.

ـ لا طائلة ترجى من حديثنا هذا لأنني سأرحل إلى لندن. فكن

لطيفاً واطلب من أحدهم أن يوصلني إلى المطار.

اكفهر وجه العجوز ورد قائلاً:

ـ لن تذهبي إلى أي مكان. ستلازمين غرفتك حتى يوم زفافك. فأنا سيد هذا المنزل ولن أتوانى عن حبسك أو ضربك إن لزم الأمر لتتعلمي الطاعة.

علا الاصفرار وجه اندريا، وتذكرت في الحال حارسيه المخيفين فدب الذعر فيها. لكنها تمالكت نفسها قائلة:

ـ أتحسب أن بإمكانك أن تخيفني؟

ـ لطالما ضربت والدك بالحزام ليتعلم الانصياع لأوامري. ولكنه التقى بوالدتك الفاجرة وتحداني رافضاً الوقوف عند رغبتي، فقطعت عنه المال، وحرمته من ميراثي!

انتابها الهلع وهي تتخيل والدها يتعرض لسوء معاملة والده له، والده الذي تسبب بشقائه، وشقاء زوجته وابنته من بعده، فقالت هامسة:

ـ أيها العجوز المستبد، أنت لا تستحق أن تعيش!

ـ أخرجي من هنا قبل أن أضربك بحزامي، فأنا لا أسمح لأحد بأن يتحداني.

ـ سأرحل من هنا حتى وإن اضطررت للذهاب إلى أثينا مشياً على الأقدام.

التوت قسمات وجهه سخطاً وقال:

ـ لن تخطي خطوة واحدة خارج عتبة هذا المنزل إلى أن اسلمك لعريسك نيكوس فاسيليس.

هزت اندريا رأسها بتحدٍ:

ـ لن تحصل على مرادك أبداً، لأنني سأرحل في الحال.

ـ سأحبسك في غرفتك

ـ يستحسن ألا تفعل، لأنني اتفقت مع صديق لي أن يبلغ السفارة البريطانية بأنني محتجزة في منزلك إن لم أتصل به كل مساء. ولا أظنك تريد أن تتهم بخطفي أو أن تتناول الصحف هذا الخبر!

تركت كلماتها تأثيراً جلياً عليه:

ـ ماذا لو أرغمتك بنفسي على إجراء هذا الاتصال الهاتفي؟

ـ لا أنصحك بذلك أيضاً، لأنني قد أقول له كلمة السر في سياق حديثنا.

بدا وجهه قاسياً وكأنه نحت من الصخر، وزالت عنه كل تعابير الغضب والانفعال. ثم قال لها بصوت هادىء:

ـ هلاّ قلت لي ما سبب رفضك لفكرة الزواج من نيكوس فاسيليس!

لم تتوقع اندريا أن يغيّر جدها موقفه بهذه السرعة فأجابت ساخرة:

ـ من السخافة أن تطرح علي سؤالاً مماثلاً.

ـ لماذا؟ ألا تجدينه وسيماً؟ يقال إن النساء يتهافتن لنيل رضاه، بغض النظر عن ثرائه الفاحش.

ـ ماذا؟ ولكنه قال لي إنه يهوى النساء الثريات!

أطلق العجوز ضحكة رنانة وأجابها قائلاً:

ـ أتعتقدين أنني أسلم أمبراطوريتي إلى شخص لا يتمتع بالكفاءة اللازمة؟ يملك نيكوس ثروة طائلة ولن يبدد أموالي هباءً.

عقدت اندريا حاجبيها علّها تستوعب ما يقوله جدها، فيما تابع هذا الأخير كلامه قائلاً:

ـ يبلغ رأسمال شركة فاسيليس حوالى خمسمئة مليون يورو.

www.elromancia.com

وهو يطمح إلى ضمها إلى امبراطورية كوستاكيس وتوسيع نطاق نشاطاتها. ولكنني لم أوافق على طلبه إلا بعد أن اشترطت عليه الزواج بك.

ـ لكنني حسبتك نسيت أمري منذ أن طردت والدتي من اليونان لخمس وعشرين سنة خلت.

لم تظهر على وجهه علامات الندم أو الخجل، بل اكتفى بالرد عليها ببرودة:

ـ إن دمي يجري في عروقك وليس أمامي خيار آخر سوى اللجوء إليك. فإن تزوجت نيكوس فاسيليس فإنه سيتولى إدارة أعمالي، وسيحمل ابنه دمي في عروقه، ويصبح وريثي الوحيد. انتظرت طويلاً لأحصل على وريث، ولكن انتظاري لم يذهب سدى.

زالت الغشاوة عن عيني اندريا وتوضحت الأمور لها. فجدها يعتبرها مجرد وعاء يريد استخدامه ليحظى بوريث؛ وريث لطالما انتظره. صحيح أن هذا الرجل يملك أموالاً لا تحصى، إلا أنه مجرد من المشاعر الإنسانية. فبعد أكثر من خمس وعشرين سنة، ذاقت خلالها الأمرّين بسبب قساوة قلبه، ها هي تقف الآن أمامه شامخة الرأس لأنها وحدها قادرة على منحه ما يتوق إليه قبل أن يغيبه الموت.

وتردد في تلك اللحظة، صدى كلمات طوني في ذهنها: (إن كان يريد منك شيئاً، فسيهبك كل ما تريدينه، ليحظى بموافقتك).

أما هي فتريد منه مبلغاً كافياً من المال، يسمح لأمها بأن تسافر إلى إحدى البلدان الحارة، وتستمتع بحياتها قليلاً.

أخذت نبضات قلبها تتسارع.. إن كان جدها يرى فيها أداة تصلح لتحقيق مآربه الشخصية عليه أن يدفع الثمن غالياً.

منذ حوالى خمس دقائق، كانت مصممة على الرحيل من دون

عودة ولكنها الآن بدلت رأيها، وعقدت العزم على نيل ما أتت تبحث عنه.. المال!

استرخى جدها على الوسائد الموضوعة خلفه، وقال وكأنه قرأ أفكارها:

ـ حددي الثمن الذي تريدينه لتوافقي على الزواج بنيكوس فاسيليس.

مرت في ذهنها صوره عناق نيكوس المحموم الذي ألهب مشاعرها، ولكنها أسرعت تطردها بعيداً وقد أدركت أن عناقه لم يكن سوى وسيلة رخيصة للوصول إلى شركات كوستاكيس.

ـ أريد خمسمئة ألف باوند، ترسلها إلى حساب مصرفي مفتوح باسم اندريا فرايزر.

تعمدت أن تعطيه اسم والدتها، لتؤكد له أنها لم تحمل يوماً اسم كوستاكيس ولن تفعل أبداً.

ـ ثمنك مرتفع جداً.

ـ عليك أن تدفع لي لأنك تحتاج إليّ.

ظهر في عينيه وميض سخط، ثم قال: «ألا تعلمين أن زواجك بنيكوس فاسيليس سيؤمن لك حياة رغيدة؟ عليك أن تشكريني جاثية على ركبتيك لأنني انتشلتك من فقرك المدقع، لأرميك بين أحضان رجل فاحش الثراء».

ـ خمسمئة ألف باوند عداً ونقداً.

إنها بحاجة ماسة إلى هذا المبلغ لتسدد ديون كيم وتشتري منزلاً جديداً لهما في إسبانيا، وتحتفظ بالباقي لتيسير أمورهما، إلى حين عثورها على عمل جديد.

ـ و إلا سأعود إلى لندن في الحال.

ضاقت عينا العجوز وظهرت فيهما تعابير الاستسلام، ولكنه لم يرضخ لإرادتها بسهولة:

ـ لن أعطيك فلساً واحداً قبل الزواج.

ضحكت اندريا ضحكة خبيثة وردت قائلة:

ـ لن يتم الزواج إن لم أستلم المبلغ كاملاً.

كانت تكلمه فيما الأفكار تتضارب في رأسها، ما الذي تفعله هنا؟ ما الذي أصابها لتبيع نفسها بهذه الطريقة الرخيصة؟ لا شك أن الأحداث الأخيرة أعمت بصيرتها، ولكن الوقت ليس ملائماً لتقع الآن في الحيرة. إذ عليها أن تستغل الفرصة الوحيدة المتاحة أمامها لتعوض عن سنوات الشقاء الطويلة. حتى لو كان ثمن ذلك هو الزواج برجل غريب أذاب عناقه أوصالها. من جهة أخرى، ألم يسبق أن تفاوض نيكوس فاسيليس مع العجوز حول ثمن توليه إدارة شركات كوستاكيس؟ ثمن يقضي بالزواج بامرأة لم تقع عيناه عليها من قبل؟

لا! لن تدع الندم وتأنيب الضمير يعرفان طريقهما إليها، فالرجل الذي عانقها البارحة لا يستحق احترامها.

وبعد لحظات طويلة، خيم خلالها عليهما الصمت المشوب بالتحدي، قال لها جدها بحدة:

ـ سأعطيك المال صباح يوم زفافك. والآن اغربي عن وجهي!

* * *

٦ ـ زواج... ليوم واحد

جلس نيكوس على كرسيه الجلدي الوثير يصغي إلى تعليقات مدرائه المجتمعين في قاعة الاجتماعات، حول تأثير عملية دمج الشركة بشركات كوستاكيس. لكن ذهنه كان شارداً يفكر في اندريا. يا لها من طفلة مدللة، تفتقر إلى حسن التصرف واللياقة! طفلة مستهترة تعجز عن كبح جماح أهوائها!

الحق يقال إنه استمتع كثيراً برؤيتها تتحدى العجوز، الذي طالما زرع الرعب في نفوس الأشخاص المحيطين به، سواء أكانوا خدماً عنده، أو شركاء في العمل. إلا أنه من الصعب التغاضي عن تصرفاتها الفظة، لاسيما إن كانت ستصبح زوجة نيكوس فاسيليس..

كيف يمكن أن يخفي العجوز عنها مسألة مهمة كهذه؟ صحيح أن يورغوس كوستاكيس لا يكلف نفسه عناء التطرق إلى التفاصيل التافهة، ولكن زواج حفيدته ليس بالأمر التافه.

ومرت في ذهنه صورة يورغوس وهو يصفعها، وإذا بجسمه يتصلب وملامح وجهه تتوتر. فالعجوز معروف بقساوته وحدة طباعه، ولكن ذلك لا يعطيه الحق بصفعها.. حتى لو أثارت حفيظته بالصراخ كعجوز مشاكسة أمام الرجل الذي اختاره زوجاً لها.

واجتاحته موجة عارمة من العطف.. عطف لم يشعر به يوماً تجاه امرأة أخرى، وتحول غضبه إلى رغبة شديدة بإبعادها عن ذلك المكان

وإحاطتها بحمايته. فرفع يده فجأة، مقاطعاً حديث أحد المدراء، وقال:

ـ أرجو المعذرة أيها السادة، ولكن علي أن أنصرف في الحال. يمكنكم أن تتابعوا اجتماعكم.

ولم تكد تمضي عشر دقائق، حتى كان ينهب طرقات أثينا نهباً في سيارته الفيراري، متوجهاً إلى عرين العجوز كوستاكيس.

جلست اندريا على الشرفة تتأمل الحدائق الغناء الممتدة تحت ناظريها. كانت تشعر بضيق في صدرها فيما صدى حديثها الأخير مع جدها يتردد في ذهنها. أتراها أصيبت بالجنون لتفكر في المضي قدما في ما يريده منها؟

صعقتها فداحة الوعد الذي قطعته، وتمنت في قرارة نفسها لو أن الأمر مجرد وهم. فمنذ يومين كانت في منزلها، وسط عالمها المحبب إليها رغم كآبته، وهاهي اليوم تجلس على شرفة تغمرها شمس المتوسط الحارة، تتهيأ للزواج برجل غريب عنها. دب الذعر فيها، وعبثاً حاولت مقاومته.

لا شك أن زواجهما سيكون صورياً، وصباح اليوم التالي لحفل الزفاف، ستستقل الطائرة الأولى العائدة إلى لندن، تاركة خلفها زوجاً قلما يهمه أمرها. وفي غضون شهر واحد ستكون برفقة كيم في إسبانيا، تبحثان عن منزل جديد لهما.

مدت اندريا رجليها لتغمرهما أشعة الشمس وراحت تدلكهما بلطف مزيلة عنهما تعب الساعات الأخيرة. لا شك أن طقس إسبانيا المعتدل سيأتي عليهما بالكثير من النفع. وخطر لها في تلك اللحظة، أن عليها أن تجد عملاً لها في إسبانيا، يضمن لهما حياة رغيدة. وخلال العطل ستدعو ليندا وطوني لزيارتهما، فقد أثبتا على مر السنوات بأنهما

صديقين مخلصين.

قبل أن تخرج إلى الشرفة اتصلت بطوني واطلعته على قرارها بالبقاء في أثينا لبعض الوقت، إلا أنها بذلت جهداً كبيراً لإقناعه بأن رجال جدها لم يرغموها على البقاء عنوة

بعثت هذه الفكرة رجفة في كيانها، لأن مخاوفها حيال جدها كانت في محلها.. فهو لم يخف عنها استعداده لحبسها، لإرغامها على الزواج بذلك الرجل، الذي التقت به للمرة الأولى على هذه الشرفة، منذ أقل من أربع وعشرين ساعة. وعاودتها ذكرى عناقهما، حين ضمها بين ذراعيه بشغف.

أحست بالإثارة تسرى في كيانها، لأن الرجل الذي خطف أنفاسها بوسامته وأشعل نيران اللهفة فيها بلمسانه سيصبح قريباً زوجها.. وإن ليوم واحد فقط. فهي لا ترى فيه إلا جواز سفرها إلى إسبانيا، وهو لا يرى فيها إلا جواز سفره إلى إمبراطورية كوستاكيس العظيمة. ولكن أي نوع من الرجال هو ليرضى بالزواج بامرأة لا يعرفها، ليضاعف ثروته فحسب؟

لا شك أن الفقر المدقع الذي عانت منه، جعلها تقع تحت إغراء المال للخروج من حالتها المزرية، ولكن نيكوس فاسيليس فاحش الثراء، ورأسمال شركته يوازي خمسمئة مليون باوند، فما حاجته للمزيد من المال؟

هزت كتفيها بلا مبالاة.. فالأمر لا يعنيها أبداً، لأن علاقتها به ستنتهي في اليوم التالي لزواجهما. غير أن جدها هو الخاسر الوحيد في هذه الصفقة لأنه لن ينال مبتغاه ويحظى بوريث له.

سمعت صوت محرك سيارة تقترب من المنزل، فأخذ قلبها يتخبط بين ضلوعها وهي ترى نيكوس فاسيليس ينزل منها ويصعد إلى الشرفة

حيث كانت تجلس مسترخية تحت أشعة الشمس.

بقيت اندريا مسمرة في مكانها، وقد أحست بطاقة غريبة تفيض منه فتشل حركتها تماماً. كان نيكوس يرتدي بزة رمادية وقميصاً أبيض وربطة عنق حريرية، فبدا أطول قامة وأكثر رجولة.

جلس نيكوس قبالتها، ومد رجليه الطويلتين فلامستا رجليها، إلا أنها سحبتهما بسرعة إلى الخلف ما جعلها تشعر بالوخز الشديد فيهما.

لاحظ نيكوس تعابير الألم على وجهها فقطب جبينه وسألها:

ـ هل أنت بخير؟

أثار صوته الأجش اضطرابها، فأومأت برأسها وهي عاجزة عن الكلام.

ـ كيف أصبح خدك؟

وقبل أن تتمكن من الإجابة، اقترب منها ولامس خدها بأنامله، فتسارعت الحرارة تغزو شرايينها.

كانت آثار الصفعة بادية على وجهها، ولم تحاول إخفاءها تحت غطاء كثيف من الماكياج، لكنها تركت شعرها الطويل منسدلاً ليغطي أذنها، التي احمرت بفعل الصفعة. أجابته بسرعة مبعدة يده عنها:

ـ لا بأس.

فقلقه عليها لا يعني لها الكثير، لأن الكلمات الأخيرة التي رمتها في وجهه، كانت أقرب إلى الإهانة، واهتمامه الآن بها يثير اشمئزازها.

في تلك اللحظة، دنا الخادم منهما حاملاً القهوة، فاستغلت اندريا هذه الثواني القليلة لتستعيد السيطرة على أعصابها. نزع نيكوس نظاراته السوداء ووضعها في جيبه، فتمنت اندريا لو أنه لم يفعل. لأن عينيه الرماديتين كانتا مسلطتين عليها، تنفرسان في وجهها.

ـ أرى أنك لا تزالين منفعلة. أعلم جيدا أن ليلة البارحة كانت قاسية عليك، وأرجو أن تسامحيني لأنني استعجلت الأمور.

وتوقف قليلاً عن الكلام وكأنه يحاول انتقاء كلماته بدقة، ثم تابع يقول:

ـ إن جدك صعب المراس، ولا شيء يثنيه عن تحقيق مآربه الشخصية، مهما كانت السبل التي يسلكها قاسية.

ثم قطب نيكوس جبينه وأضاف:

ـ أعلم أن ليس هناك ما يبرر صفعه لك، ولكنه لم يتحمل أن تتحديه في حضوري.

لم تحرك اندريا ساكناً، بل راحت تفكر بذلك الصبي المرهف الإحساس الذي ترعرع في هذا المنزل، وعانى من سوء معاملة والده، الذي لم يكن يتوانى عن ضربه بالحزام ليرغمه على طاعته. وفجأة، تراءى له بصيص أمل من بعيد، إذ التقى بكيم على شاطىء البحر، ووقع في هواها منذ النظرة الأولى. ولكن حبهما لم يكد يرى النور حتى خطف الموت الشاب، تاركاً حبيبته فريسة الحزن. أيقظها صوت نيكوس من شرودها:

ـ أقسم لك أنني حسبتك موافقة على الزواج بي.

أجابته وهي تسكب القهوة في الأكواب الموضوعة أمامها على الطاولة:

ـ ولكنني وافقت على الزواج بك. تحدثت صباح اليوم مطولاً مع جدي، وسوينا الموضوع. فلا داعي للقلق حيال مشروع دمج شركتيكما.

ثم ناولته فنجان القهوة وهي تسأله بتهذيب بالغ:

ـ أتريد سكراً وحليباً؟

هز رأسه نفياً:

ـ هل ضربك جدك ثانية؟

اتسعت عيناها دهشة:

ـ طبعاً لا. ولكننا توصلنا إلى اتفاق يرضي الطرفين!

ـ اتفاق؟ أي اتفاق؟

افتر ثغرها عن ابتسامة مصطنعة يشوبها شيء من الرضى. فبعد مرور حوالى ربع قرن من الشقاء، ستنال والدتها التعويض الذي تستحقه، من يورغوس كوستاكيس الذي أذلها أشد الإذلال.

ـ وافق جدي على إعطائي مبلغاً من المال؟

ـ مبلغ من المال؟

ـ أجل، يا سيد فاسيليس.

ـ هلا شرحت لي ما تقصدينه بكلامك هذا؟

كان يتحدث بلهجة الآمر وكأنه يخاطب أحد العاملين عنده. فشركته تساوي خمسمئة مليون يورو، ولا شك أنها تضم عدداً لابأس به من الموظفين العاملين تحت أمرته.

ـ إن الأمر في غاية البساطة. تعهد جدي بأن يدفع لي مبلغاً من المال إن وافقت على الزواج.

واضاءت ابتسامة مشرقة وجهها وهي تضيف:

ـ فأنا أفضل أموال كوستاكيس النقدية وليس أسهمه.

تصلبت قسمات وجه نيكوس.

ـ سيدفع لك مالاً لتتزوجي بي؟

كادت اندريا تنفجر ضاحكة وهي ترى نيران الغضب مشتعلة في عينيه. رباه كم هو وقح! ولكنها تمالكت نفسها وقد أحست فجأة بضيق في صدرها.

ـ أليس صحيحاً أنه سيدفع لك أيضاً المال لتتزوج بي؟

ـ لكن الأمر مختلف كلياً.

ـ لا أرى وجه الاختلاف. أيعقل أن توافق على الارتباط بي لو أن ذلك لا يخدم مصلحتك الشخصية؟

حملت فنجان القهوة في يدها وهي تحدق بالرجل الجالس قبالتها، الرجل الذي وافقت على الزواج به مقابل نصف مليون باوند.

ـ مارأيك يا سيد فاسيليس لو نضع النقاط على الحروف؟ فليلة البارحة، قلت لي صراحة إن الهدف من زواجك بي هو الاستيلاء على شركات كوستاكيس. واظن أن الطريقة الوحيدة لتحقيق ذلك هي بوضع يدك على أغلبية الأسهم فيها.

رفع نيكوس نظره إليها وقد استحالت عيناه إلى قطعتين من الفولاذ الصلب:

ـ سأشتري اسم كوستاكيس. . ليس نقداً. . بل بالمقايضة. وكوني على ثقة بأن جدك سيجني الكثير من ذلك.

ـ أفضل ألا ندخل في هذه التفاصيل التقنية. فجلّ ما أعرفه هو أن جدي يشترط أن تتزوج بي ليوافق على عملية الدمج، وزواجك بي سيساعدك على مضاعفة ثروتك. مما يعني أنك ستحصل على المال مقابل هذا الزواج.

تبددت نوايا نيكوس الحسنة في الحال، ولم يعد في قلبه مكان للعطف. فهو قد جاء إليها اليوم بقصد المهادنة والتودد إليها كما يتودد كل رجل على عروسه، علّها تعود تلك الفتاة الرقيقة الناعمة التي ألهبت مشاعره بأنوثتها الصارخة. إلا أنه وجد نفسه أمام امرأة تتحدث عن المال والزواج في آن معاً، امرأة تسعى لاهثة وراء النقود.

كانت اندريا تراقبه عن كثب وقد بدا جلياً أن صراحتها أزعجته إلى

www.elromancia.com

أقصى حد فزالت رغبتها بالضحك، وتملكها إحساس غريب بالقنوط. لاحظ نيكوس أن نظراتها ازدادت قساوة ما ولّد لديه إحساساً بالاشمئزاز. فالمرأة التي كانت ترتجف شوقاً بين يديه ضاعت منه، وكأنه لم يقابلها قط. . أما تلك التي تجلس أمامه، فيجري في شرايينها دم كوستاكيس. إنها امرأة تعرف ثمن كل شيء حتى نفسها. .

ابتسم نيكوس ابتسامة خبيثة، وقد عزم في سره على أن يعاملها كما تستحق.

ـ حسناً! أظن أن الأمور باتت واضحة أمامنا، وعلينا الآن أن نبدأ.

نظرت إليه حائرة وسألته:

ـ نبدأ ماذا؟

ـ خطوبتنا الرسمية.

ثم أمسك بيدها وساعدها على الوقوف على رجليها وتابع قائلاً.

ـ لعلك تفضلين أن أهديك دفتر شيكات في هذه المناسبة، ولكنني أفضل الاحتفال بها على الطريقة التقليدية.

وقبل أن تفهم ما يقصد بقوله هذا شدها ببطء إلى عناق محموم، عناق لم تقو على مقاومته، فدست ذراعيها حول عنقه تشجعه على احتضانها بشغف أكبر. إلا أنه ما لبث أن انتزع ذراعيها عن عنقه وأرجع رأسه إلى الخلف لينظر إليها. . فتورد خداها حرجاً.

ـ أعترف بأنني أتحرق شوقاً لليوم الذي يجمعنا فيه سرير واحد.

ثم نظر إلى ساعته وأضاف:

ـ سنتناول طعام الغداء معاً ليعرف العالم كله بأن شركة فاسيليس ستنضم إلى إمبراطورية كوستاكيس.

وتأبط ذراعها وقادها نحو سيارته من دون أن تتمكن من صده.

منذ اللحظة الأولى التي دخلا فيها إلى المطعم الراقي، المكتظ

بالناس، والأنظار مسلطة عليهما.

سارت اندريا بقربه بحذر وهي تحاول إخفاء اضطرابها الشديد. فهي لم تعتد على ارتياد أماكن مماثلة تعج برجال الأعمال وأصحاب المال الذين يجتمعون حول الموائد العامرة لعقد صفقاتهم.

استقبلهما النادل بالترحاب، وبدا جلياً أنه يتحرق شوقاً لمعرفة هوية الفتاة التي ترافق أشهر عازب في البلد. فسكان أثينا يهتمون كثيراً بالأقاويل، ومغامرات نيكوس تثير اهتمام معظم الناس، لأنه رجل مرموق، ناجح في أعماله، ويهوى رفقة النساء الجميلات. ابتسم النادل لهما مرحباً وقال:

ـ تسرني رؤيتك يا سيد فاسيليس، ورؤية رفيقتك الجميلة.

ـ أقدم لك الآنسة كوستاكيس.

بدا الذهول على وجه النادل، وظهر في عينيه وميض الإثارة، فانحنى لها احتراماً وراح يتمتم لاهثاً عن مدى سروره بمقابلتها إلى أن قاطعه نيكوس بحدة:

ـ كفى ثرثرة. . . سنتناول كأساً من الشراب بينما تجهز لنا طاولة في زاوية منعزلة.

ـ بكل سرور.

انحنى النادل لهما من جديد، ثم قادهما إلى ركن هادىء، وهو يقول بصوت خافت:

ـ من هنا، لو سمحتما.

شاهدت اندريا رجلين يجلسان على مقربة منهما، ينتظران تجهيز طاولة العشاء لهما أيضاً.

فرفعا نظرهما إليها وراحا يتفرسان فيها بوقاحة لا توصف. ثم نهض أحدهما بسرعة من مكانه، وتوجه نحو إحدى الطاولات في قاعة

الطعام، وهمس في أذن أحد الجالسين عليها شيئاً ما، جعله يرفع رأسه بحدة محملقاً في نيكوس فاسيليس ورفيقته. فسألته وهي تصر على أسنانها:

ـ ماالذي يجري هنا؟ هل من خطب؟

ابتسم نيكوس ابتسامة مقتضبة قائلاً:

ـ لا تقلقي يا عزيزتي... لقد بدأ العرض لتوه..

صحيح أن الإحساس بالانزعاج رافق اندريا طوال فترة الغداء، إلا أن نيكوس لم يبخل عليها بالطعام الفاخر. فعلاوة عن المشروبات المثلجة، أصر على أن يتناولا الكماة، والكافيار، وثمار البحر مع الخضار والصلصات الحارة..

وتمنت اندريا في قرارة نفسها لو أنها تستطيع التخلص من التوتر الذي سيطر عليها لتستمتع بطعامها، فالعيون الفضولية لم تفارقها لحظة واحدة. إلا أن أكثر ما أغاظها هو تودد نيكوس إليها أمام العلن، ذلك أن تصرفه هذا لم يكن نابعاً من أي إحساس داخلي، بل هو مجرد طريقة رخيصة للتباهي أمام الناس بارتباطه بوريثة كوستاكيس. وبعد قليل، انحنى فجأة نحوها وهمس في أذنها قائلاً:

ـ صعق الجميع عند سماعهم اسمك، إذ لم يتوقع أحد أن يظهر للعجوز حفيدة وأظنهم أدركوا معنى ظهورك اليوم.

فسألته أندريا ساخرة:

ـ ألم يعلموا بعد بأنك ستضع يدك على شركات كوستاكيس؟

قالت اندريا ذلك وهي تجاهد للحفاظ على هدوئها. فمنذ أن عانقها على الشرفة احتفاءاً بخطوبتهما، والمشاعر المتضاربة تتخبط في داخلها.

ـ سرت بعض الشائعات حول هذا الموضوع. ولكن ظهور الحفيدة

المفاجيء سيقلب المقاييس يا عزيزتي!

ـ لا تنادني عزيزتي!

رفع حاجبيه هازئاً:

ـ ألا ترين أننا على وشك الزواج، وعلينا أن نلعب دورنا بإتقان؟ بالمناسبة، أتريدني حفل زفاف حميم أم تفضيله صاخباً؟ في مطلق الأحوال، أظننا سننتظر قدوم والدتك.

جمد الدم في عروقها، فقالت له بفظاظة:

ـ كلا.

فهي لا تنوي إخبار والدتها بزواجها حتى لا تثير قلقها.

ـ أتراها تكره جدك إلى هذا الحد؟

وتذكر في تلك اللحظة تعليقات العجوز يورغوس حول أسلوب والدتها في تربيتها.

ـ لا أريد التحدث في الموضوع.

ضاقت عينا نيكوس وهو يتأمل وجهها عن كثب، وقد بدا عليه الانفعال الشديد. ومرت في ذهنه صورتها وهي واقفة على الشرفة تتحدث عن ذكريات والديها، فأنب نفسه بشدة لافتقاره إلى حسن الإدراك.

ـ آسف.. وأظنها لا تتحمل أن ترى ثانية المكان الذي قضت فيه أجمل أيام حياتها، برفقة والدك.

ـ نعم، هذا صحيح.

ـ أتفضلين حفل زفاف صغيراً؟

ـ قطعاً، وفي أقرب فرصة ممكنة.

وارتشفت القليل من العصير المثلج، علّه يبرد اضطرابها.

ـ أرى أنك تتحرقين شوقاً لتصبحي زوجتي.

www.elromancia.com

جاء صوته هادئاً، يحمل بين طياته شيئاً من الرقة فحرك فيها مشاعر خفية تمنت لو أنها تستطيع صدها.

إلا أنها رفعت نظرها إليه وقالت له بفظاظة:

ـ حسبتك تريد إتمام عملية الدمج في أسرع وقت ممكن!

تأرجحت مشاعر نيكوس بين السخط و التسلية، إلا أن الغلبة كانت لهذه الأخيرة. يا لها من فتاة متقلبة المزاج! فلدقائق قليلة خلت، أثار حزنها على والدها الذي رحل قبل أن ترى النور، عطفه، فبدت في عينيه فتاة ضعيفة لا حول لها ولا قوة. وها هي الآن تعود إلى المشاكسة وكأنها ندمت على خلعها قناع القساوة.

ـ أؤكد لك أن توقك إلى إتمام صفقتك المنشودة يوازي توقي إلى الحصول على المال من جدي!

كانت العيون الفضولية تتأمل وريثة كوستاكيس متفرسة، فيما انتشر خبر وصولها إلى المدينة وخروجها برفقة نيكوس فاسيليس لتناول الغداء، في أنحاء المدينة كافة ليصبح شغل الناس الشاغل؛ فلعل الزيجات المدبرة والصفقات التجارية سواء في هذه المجتمعات الراقية!

أحست أندريا بجفاف في حلقها لم ينجح العصير البارد في إرواءه.

* * *

٧ ـ لن أبحر معك!

طالت فترة الغداء حتى عيل صبر اندريا وراحت تعد الثواني التي تفصلها عن موعد عودة نيكوس إلى المكتب، علها تتمكن من التخلص منه.

ولكن آمالها خابت كلها حين سمعته يتصل بالمكتب من هاتفه النقال ويلغي مواعيده كلها، مساهماً بذلك في انتشار الشائعات بسرعة أكبر. فينكوس فاسيليس، وهو رجل أعمال من الطراز الأول، لا يلغي مواعيده مهما كانت الأسباب قاهرة.

ابتسم نيكوس لعروسه العتيدة ابتسامة تشع بالدف، وسألها وهما يهمان بمغادرة المطعم:

ـ ما رأيك لو نذهب لشراء ملابس جديدة تليق بجهازك؟

أجابته بحدة:

ـ لدي الكثير من الملابس!

فعلاوة على الثياب التي اختارتها لها صديقتها ليندا، قبل سفرها إلى أثينا، سمح جدها لنفسه بملء خزانة غرفتها بملابس من شتى الألوان والأشكال، حتى كادت الرفوف تئن من ثقلها.

ـ ولكن النساء لا يكتفين أبداً من شراء الملابس!

فأجابته بلا اكتراث:

ـ أنا لا أهتم للملابس.

ـ أرى أنك فريدة من نوعك.

ثم ابتسم بخبث وأضاف:

ـ وأعتقد بأن ثيابك تليق بك كثيراً حتى وإن كنت لا تكترثين لأمرها.

وتحركت عيناه ببطء نحو قميصها المزخرف الضيق الذي يعلو بنطلونها الرمادي الداكن، مبرزاً مفاتنها، فيما راحت أنامله تداعب خدها برقة أسرت قلبها وروحها.

ـ اسمحي لي بأن اشتري لك ملابس من اختياري.

ـ قلت لك إنني أملك الكثير منها.

وأبعدت يده عنها بحدة، وقد أحست بقشعريرة تسري على امتداد عمودها الفقري. تابع نيكوس يقول وكأنه لم يكن يصغي إليها:

ـ سأشتري لك شيئاً مميزاً لليلة الزفاف.

فالتوى فمها خبثاً وأومأت برأسها قائلة:

ـ لابأس.

اصطحبها إلى متجر فخم في أحد الأحياء الراقية في أثينا، متجر اعتاد على ما يبدو أن يقصده بين الحين والآخر، لشراء الهدايا لصديقاته الكثر. أدركت أندريا ذلك من الترحيب الذي استقبلته به صاحبة المتجر، والتي لم تخفِ فرحتها الكبيرة برؤيته من جديد.

أخذت صاحبة المتجر مقاسات اندريا، وراحت تعرض عليها أثواباً مزخرفة شفافة، لتقوم بتجربة واحد منها. إلا أنها لم تجد من داع لذلك، لأنها كانت تعلم في قرارة نفسها بأنها لن ترتديها. فليلة زفافها ستكون قصيرة جداً، وبعيدة كل البعد عن الرومانسية.

لم يكتف نيكوس بهذا القدر، بل بدا مصمماً على شراء المزيد.

ـ اسمعي، مارأيك لو نلقي نظرة على أزياء كبار المصممين في هذا

الحي. علك تختارين شيئاً منها؟

ـ لا، شكراً. قلت لك إنني أملك ثياباً كثيرة.

أمسك بيدها وسألها برقة:

ـ هلا سمحت لي إذن أن اختار لك تنورة قصيرة؟

ـ لسوء حظك، أنني لا أحب ارتداء التنورة.

ـ ماذا تقصدين بذلك؟

ـ أقصد ما سمعته تماماً!

ـ ولكنك ارتديت مساء البارحة فستاناً.

أجابته باقتضاب:

ـ كانت تنورته طويلة.

ـ ولكنك تتمتعين بساقين طويلتين وملفتتين للنظر.

ـ وما أدراك بذلك؟ هل تحمل منظاراً بالأشعة السينية؟

ـ أرجوك. اسمحي لي أن اشتري لك تنورة واحدة، فأدعك بعد ذلك وشأنك.

أجابته متأففة:

ـ كفانا تجولاً في الأسواق. إنني اشعر بالملل.

رفع نيكوس حاجبيه دهشة وكأنه لا يصدق أذنيه. فالنساء لا يسأمن عادة من التسوق، لا سيما إن كن ينفقن من حساب الآخرين.

ولكن، لعل اندريا ترى الأمور من منظار مختلف لأنها ولدت وفي فمها ملعقة من ذهب.

ـ أكره أن أراك ضجرة، فكيف لي أن أسليك؟

لم تعجبها نبرة صوته، إذ حملت بين طياتها معانٍ تفضل أن تتجاهلها فردت بحدة:

ـ أريد أن أزور المواقع السياحية.

من يدري؟ قد لا تتاح لها الفرصة لزيارة أثينا من جديد، وهي تتوق إلى التعرف على بلاد أجدادها. اعتصر الألم فؤادها وقد تنبهت فجأة إلى أنها يونانية الأصل، ودم كوستاكيس يجري في عروقها، ولكنها المرة الأولى التي تطأ فيها أرض اليونان. سحقها الإحساس بالحزن والمرارة حتى كاد يفقدها السيطرة على أعصابها.

ـ الأماكن السياحية؟ لا شك أنك زرتها آلاف المرات!

حدقت به مستغربة وأجابت:

ـ إنها المرة الأولى التي أزور فيها اليونان.

نظر إليها والاستهجان باد على وجهه. أيعقل أن تجهل حفيدة كوستاكيس لغتها الأم، وموطن أجدادها جهلاً تاماً؟

ـ حسناً.. تعالي لأعرفك على أثينا!

أمضيا فترة بعد الظهر يتنقلان ما بين المواقع الأثرية، واندريا مفتونة بكل مايقع عليه نظرها، رافضة الاستسلام لمشاعر الأسف التي ألمت بها، وهي تفكر بأنها قد لا ترى نيكوس ثانية.

فمع أن هذا الرجل قادر على إرسال شحنات كهربائية في جسمها بنظرة واحدة من عينيه الثاقبتين أو لمسة رقيقة من يديه، غير أن علاقتها به لن تكون سوى مجرد فترة فاصلة في حياتها.

خلال الأسبوعين التاليين، بذل نيكوس جهداً بالغاً ليثبت للعالم أجمع أن حفيدة كوستاكيس ستتزوج به، وأن جدها سيتنازل له عن شركات كوستاكيس كمهر لها. وعبثاً حاولت أندريا الاعتياد على وجوده المستمر قربها. إذ وجدت نفسها مرغمة، يوما بعد يوم، على مرافقته إلى المقاهي الفخمة والملاهي الليلية الراقية، حيث يغرقها باهتمامه المفرط، ولياقته المبالغ فيها. وكانت تصاب بتقلص في معدتها كلما سمعت صوت محرك سيارته الفيراري وهي تقترب من

المنزل.

إلا أنها كانت تجاهد لتحافظ على برودة أعصابها، تلك البرودة التي تزعجه وتسليه في آن معاً..

قال لها في إحدى الأمسيات، وهي تحاول التملص من عناقه:

ـ كم أتمنى أن أذيب هذا الجليد الذي يحيط بك!

أجابته بفظاظة:

ـ ستفسد تسريحة شعري يا نيكوس.

ظهر في عينيه بريق تسلية:

ـ سأصطحبك هذا المساء إلى الرقص لأضمك بين ذراعي طويلاً.

تراجعت إلى الخلف بسرعة حتى كادت تتعثر، ثم قالت له بحدة:

ـ لكنني لا أجيد الرقص.

كانت ساقاها تزدادان وهناً يوماً بعد يوم.. ولطالما استيقظت في الليل مذعورة، وهي تفكر إذا ما كان قد أصابها مس في عقلها لتمضي قدماً في ماهي مصممة عليه. غير أنها كانت تعود وتستجمع قواها، مرغمة نفسها على التحلي بالصبر إلى حين حصولها على المال. فهي بعد ذلك ستلوذ بالفرار بعيداً جداً.. إلى مكان لا يعرفها فيه أحد.

ـ لا تقلقي، لن أصطحبك للرقص على أنغام الموسيقى الصاخبة حتى طلوع الفجر. لقد اخترت مكاناً أكثر شاعرية، وأظنه سيروق لك.

ـ قلت لك إنني لا أجيد الرقص.

ابتسم لها بتكاسل:

ـ إذاً علي أن أقنعك بطريقة أو بأخرى.

وترك أنامله تنساب بخفة على طول ذراعها، فسرت قشعريرة في جسمها، جعلته يبتسم ابتسامة لا تخلو من التسلية إذ أدرك أنها تحاول عبثاً السيطرة على ضعفها أمامه. أما اندريا فلم يبق أمامها سوى أن تضع

قناع الفتور من جديد، إلى أن تمضي الساعات المقبلة من دون اثارة المتاعب.

لم يكترث نيكوس لاحتجاجاتها المتواصلة، واصطحبها إلى مطعم فاخر يقع في الطابق العلوي لأحد المباني الشاهقة. قررت اندريا في سرها ألا تدعه يجرها إلى حلبة الرقص الصغيرة في وسط القاعة، مهما كلفها الأمر.

ـ قلت لك بأنني لا أجيد الرقص.

ـ عليك أن تحاولي.

أمام إصراره الشديد هذا، لم تجد مفراً من الاستسلام، فرافقته إلى الحلبة والموسيقى الناعمة تملأ المكان. ومع أن جزءاً منها كان يشعر بالامتنان، إلا أن الذعر دب في كيانها لأسباب لا تمت بصلة إلى موقفها المعتاد الرافض للرقص..

أحاطها نيكوس بذراعيه، فأخذ قلبها يتخبط بين ضلوعها، ووقفت مسمرة في مكانها وقد بدأ الألم يشق طريقه إلى ساقيها.

ـ ضعي يديك حول عنقي ياحبيبتي!

شعرت بأنفاسه الحارة تلسع عنقها، وبجسمه القوي الذي ينبض رجولة يتحرك بالقرب من جسدها، فتصلبت بين ذراعيه. همس في أذنها وهو يحاول مساعدتها على التمايل على أنغام الموسيقى:

ـ استرخي!

ووجدت نفسها تجاريه وتتمايل معه يميناً وشمالاً، إلا أن ساقيها لم تلبثا أن خانتاها فلم تعد قادرة على الوقوف. صرخت فيه وقد بدا الشحوب على وجهها.

ـ لا أستطيع! لا أستطيع!

واسرعت ترتمي على كرسيها، كي لا يلاحظ نيكوس مشكلتها.

فلحق بها على الفور وسألها مدهوشاً:

ـ ماالذي يجري بحق السماء؟

ـ قلت لك إنني لا أجيد الرقص؟

ـ لا تجيدين الرقص أم أنك لا ترغبين بالرقص معي؟

ثم جلس قبالتها إلى الطاولة، وملأ كوبه بالشراب مضيفاً:

ـ سأعطيك دروساً في الرقص بعد الزواج.

لم تحاول اندريا أن تجادله لأنها تعلم، في قرارة نفسها بأن الفرصة لن تسنح له لتعليمها الرقص أو أي شيء آخر بعد الزواج. أحست، وهي تدلك ساقيها خلسة تحت الطاولة، بأن الألم أخذ يتسلل إلى عظامها.. وقلبها.. وروحها.

* * *

أمسكت أندريا بسماعة الهاتف بإحكام:

ـ هل أنت واثق تماماً؟

ـ طبعاً يا آنسة فرايزر. أودعت صباح اليوم في حسابك الخاص خمسمئة ألف باوند.

ـ ألا يحق لأحد التصرف بهذا المال من دون إذني؟

أجابها موظف المصرف بنبرة تدل على الاستغراب:

ـ قطعا، لا!

إنه يوم الزفاف! إنه أجمل يوم في عمرها. اليوم الذي ستمسك فيه بالعصا السحرية التي ستقلب حياتها وحياة أمها رأسا على عقب..

تنفست اندريا الصعداء وهي تقفل سماعة الهاتف، بعد أن أكد لها موظف المصرف مراراً وتكراراً، أن المبلغ الذي أودع في حسابها صباح اليوم هو ملك لها وحدها، ولا يحق لأحد سواها أن يتصرف فيه!

ها قد حققت خطتها نجاحاً باهراً، وتمكنت، في نهاية الأمر، من نيل مبتغاها لتنتشل أمها من المرض، والفقر، والعوز التي قاست منها على مدى ربع قرن. ولم يبق أمامها الآن سوى أن تتحلى بالصبر خلال الأربع والعشرين ساعة المقبلة، لتعود بعد ذلك إلى ديارها بأمان.

ـ هلا ارتديت ملابسك يا آنسة؟

أيقظها صوت زوي المصحوب بالقلق من شرودها.

ـ يجب ألا ندع السيد كوستاكيس ينتظر طويلا.

أومأت اندريا برأسها، وجلست أمام المرآة تتأمل زوي وهي تشبك لها شعرها ببراعة بالدبابيس. بدت عيناها أكثر اتساعاً، وبشرتها في غاية الشحوب، إذ جافاها النوم خلال الأيام القليلة الماضية. فالخوف من هول ما هي مقبلة عليه لم يفارقها لحظة واحدة.

على الرغم من أن مراسم الزفاف كانت مختصرة نزولاً عند طلبها، شعرت اندريا بأن الثواني تمر ببطء وكأنها دهر. كانت تقف إلى جانب عريسها عابسة، وقد عجز لسانها عن النطق بالكلمات التي ستربطها إلى الأبد بالرجل الطويل القامة الذي يقف إلى جانبها. أتراها أصيبت بالجنون لتوافق على الزواج بنيكوس فاسيليس، هذا الرجل الغريب الذي اقتحم حياتها على حين غرة؟

الخاتم الماسي الذي يغشي وهجه النظر، هوخير دليل على جنونها.. ولكن ذلك لا يعني شيئاً.. لأنه سيوصلها غداً صباحاً، إلى المطار متمنياً لها رحلة موفقة إلى لندن... إذ لا شك أنه سيطير فرحاً لتخلصه منها، لاسيما أنه لا ينوي أن يبقى وفياً لها. فمنذ بضعة أيام، طلب جدها رؤيتها في إحدى الأمسيات بعد عودتها من الخارج، وكان نيكوس قد اصطحبها، في تلك الليلة، لحضور حفل للموسيقى الكلاسيكية، أثار إعجابها الشديد. فالتفتت نحوه، في طريق العودة إلى

المنزل، وقالت وعيناها تشعان فرحا:

ـ كانت الحفلة رائعة! أشكرك من صميم قلبي!

ـ يسرني أنك استمتعت بها.

تشابكت نظراتهما لبضع ثوان، تفجر خلالها شيء غريب بينهما.. لم تستطع اندريا أن تحدده، إلا أنها أحست بالأسف لأن زواجهما سيظل صورياً. ولكن حديث جدها، في تلك الليلة، اقتلع إحساسها بالأسف من جذوره، ورماه بعيداً.

ـ أريد أن أوضح لك بعض الأمور..

كان العجوز يتحدث بلهجة الآمر، فيما وقفت اندريا قبالته تصغي باهتمام بالغ إلى عظته:

ـ عليك أن تتصرفي بعد زواجك من نيكوس فاسيليس كما تتصرف جميع الزوجات اليونانيات فتطيعينه طاعة عمياء. ولا تحسبي أن صلة القرابة بيننا، تمنحك امتيازات خاصة، أو أن جمالك الباهر قد يجعله يرغب بك دوماً.

توقف العجوز قليلاً عن الكلام، وقد سره أن تترك كلماته تأثيراً بالغاً عليها، ثم تابع يقول:

ـ أظنك فهمت ما أريد قوله! فالرجل، في بلاد اليونان، هو السيد المطلق، وعلى المرأة أن تغض الطرف عن تصرفاته. واعلمي أن لنيكوس عشيقتين، الأولى عارضة أزياء أميركية الأصل والثانية امرأة يونانية تجيد اصطياد الرجال. ولا اعتقد بأنه سيتخلى عن أي منهما من أجلك. فإياك أن تثيري له المشاكل، بسببهما، وإلا سأجعلك تندمين. مفهوم؟

التوى فمها سخرية، وشكرت الله في سرها لأن زواجها به لن يكون حقيقياً، فهو لم يكتف بعشيقة واحدة، بل اتخذ اثنتين. لعل

الرجال في اليونان ينظرون إلى الحياة بطريقة مختلفة، ولكنها لن تعير الموضوع اهتماماً، لأنه لايعنيها.

أجفلت اندريا لدى سماعها صوت الموسيقى تصدح من حولها. فحملت كأسها، وراحت تجول بنظرها في المكان. منذ أكثر من أسبوعين، وهي محاطة بوسائل الترف، ولكن فكرة العودة إلى ديارها ظلت تقض مضجعها. ابتلعت ريقها لتخفف ألم الدموع التي سدت حنجرتها، فهي مشتاقة جداً إلى كيم، وإلى الشقة الضيقة، التي شهدت كل مراحل حياتها. تلك الشقة التي قد تثير ذهول نيكوس فاسيليس لو علم أنها ترعرعت فيها.. ألم يكن يتباهى أمام الناس جميعاً بزواجه من وريثة كوستاكيس؟

ولكن السحر سينقلب على الساحر قبل أن ينبلج فجر نهار جديد.

استرخت اندريا في كرسيها مغمضة عينيها.. فبعد شرب الأنخاب، وتلقي التهاني من العاملين في المنزل، جلست تنتظر عريسها الذي اختلى بجدها في المكتبة ليوقعا على عقود ضم الشركتين..

منذ ساعة تقريباً، وصل إلى المنزل سرب من الرجال المتأنقين، متسلحين بمحفظات جلدية سوداء، ودخلوا تواً إلى مكتب يورغوس كوستاكيس الخاص، لإنهاء ماينبغي إنهاؤه في هذا اليوم العظيم.

شعرت بألم حاد في ساقيها، فانحنت تدلكهما بنعومة من فوق بنطلونها.. إذ لم تكد تنتهي مراسم الزفاف، حتى سارعت إلى غرفتها لتخلع فستانها الطويل العاجي اللون، وترتدي البذلة، التي كانت ترتديها يوم وصولها إلى أثينا.

فعلى الرغم من أن خادمتها قامت بتوضيب ملابسها في الحقائب التي ستحمل معها في رحلة شهر العسل، أصرت اندريا على الاحتفاظ

بالحقيبة الصغيرة التي أحضرتها معها من لندن.

مساء البارحة، انتظرت أن يخلد الجميع إلى النوم، لتقوم بتوضيب الملابس التي ابتاعتها بنفسها في تلك الحقيبة، حيث خبأت مفتاح الخزانة الصغيرة التي استأجرتها في المطار والتي احتفظت فيها بمبلغ من المال بالإضافة إلى جواز سفرها. واتصلت بعد ذلك بطوني لتعلمه بوصولها إلى لندن في غضون ثمان وأربعين ساعة، وطلبت منه أن يبلغ والدتها حبها.. إذ إنها لم تتجرأ، منذ وصولها إلى أثينا، على الاتصال بوالدتها كي لا تنهار قواها ويفتضح أمرها..

كانت الغرفة غارقة في صمت عميق لا تخرقه إلا نبضات قلبها المتسارعة. فجأة، سمعت أصواتاً في آخر الرواق، ففتحت عينيها لترى الرجال المتأنقين يغادرون المنزل، بعد أن أنهوا مهمتهم.

وأدركت حينئذ أن الوقت قد حان ليصطحب نيكوس عروسه، في رحلة شهر العسل، تاركين العجوز مرتاح البال، لأنه تمكن من بيع تركته وحفيدته في آن معاً. في تلك اللحظة، مرت في رأسها صور أحلام راودتها في صغرها، وتمنت سدى أن تنقلب تلك الأحلام حقيقة.. إنها صورة والدها، يبتسم لها ويناديها أميرته وهو يلاعبها ويدللها.. إلا أن أحلامها لم تتعد حدود الأوهام لأن والدها رحل قبل ترى هي النور..

ـ هل أنت جاهزة؟

قطع صوت نيكوس الأجش حبل أفكارها فهبت واقفة وهي تقول:

ـ أجل.

توجها معا إلى الخارج، حيث كانت تنتظرهما سيارة جدها الليموزين.. فصعدا إلى السيارة، وجلسا كل في ركن، يفكران في مستقبلهما معاً.

لم ينبس نيكوس ببنت شفة طوال الطريق، فأحست أندريا بالارتياح لأن ليس لديها ما تقوله له.. فبعد ساعات قليلة سترحل عنه إلى غير عودة.

ـ أتريدين شراباً؟

هزت رأسها نفياً.

ـ كيف تشعرين؟

أجابته بلا مبالاة:

ـ بخير.

أطلق تنهيدة عميقة، ثم حل ربطة عنقه وفك زر ياقته، واسترخى في مقعده، فوجدت أندريا نفسها مشدودة إليه. وراحت عيناها تتفرسان فيه. ولحسن حظها أن نيكوس لم يلاحظ لهفتها عليه فقد كان سارحاً في المناظر التي تمر أمامه والكآبة بادية على وجهه. إلى أن قال بعد حين:

ـ يسرني أن كل شيء انتهى!

حقاً؟ ألا يعلم بأن سرورها يضاهي سروره؟

أشاحت بوجهها بعيداً، فأحست به يتململ في مكانه قائلاً:

ـ لاتغضبي يا اندريا.. فكلانا عانى من هذه المحنة، ولكن كل شيء انتهى الآن.

ثم التفت نحوها وأضاف:

ـ هل حصلت على المال؟

ـ طبعاً.

ـ لن تحتاجي إليه، لأنني سأعطيك كل مايلزمك!

وسحب نفساً عميقاً ثم تابع يقول:

ـ آن الوقت لنتحدث بصراحة يا اندريا، فحفل الزواج قد انتهى

وأصبحنا بمفردنا، بعيداً عن جدك.. لذا علينا أن نتعاون معاً لينجح هذا الزواج. فإن بذل كل واحد منا بعض الجهد، سارت الأمور بيننا على خير مايرام. من جهتي، أؤكد لك أنني على استعداد تام للقيام بواجباتي كاملة، وأرجو منك أن تبادليني بالمثل. وبعد انتهاء شهر العسل، سنسافر معاً إلى إنكلترا لأتعرف على والدتك.. أعلم أن علاقتها بجدك متدهورة، ولكن أتمنى ألا تحقد علي بسببه.

أرادت أن تقول له ألا داعي لكي يقلق حيال هذا الموضوع، لأن والدتها لن تعلم أبداً بوجوده، غير أنها فضلت السكوت.

ـ عليك أن تختاري المكان الذي سنقيم فيه، لأن شقتي في أثينا ضيقة. سأشتري لك منزلاً في لندن، تقيمين فيه كلما أردت أن تزوري أقاربك، وفيلا في إحدى الجزر لنمضي فيها العطل.

ـ كما تريد.

لم تشأ اندريا أن تجادله. وقررت أن تخبره الحقيقة كاملة خلال العشاء، أو بعد وصولهما إلى الفندق.

استرخى نيكوس في مقعده، وقد بلغ التعب منه مبلغاً. فمنذ أن أبلغه العجوز كوستاكيس بموافقته على دمج الشركتين، وهو منهمك بتجهيز كل مايلزم لإنجاز العملية بسرعة. وعلى الرغم من ذلك، كرس جزءاً كبيراً من وقته للتقرب من عروسه العتيدة، ولا سيما أن ظهوره برفقتها أمام الناس، يعطيهم فكرة واضحة عن حقيقة نواياه تجاه شركات كوستاكيس. غير أن الوقت الذي أمضاه برفقتها، لم يكن كافياً لتنزع قناع البرودة. إذ لم ير في عينيها أثراً للحماسة سوى مرة واحدة، ليلة اصطحبها لحضور حفل موسيقي. ففي تلك السهرة، كانت عيناها تشمان إثارة وقد استرخت تعابير وجهها، فبدت أكثر جمالاً. وشعر للحظة من الزمن أن شيئاً ما برق في عينيها، لكنه بريق لم يدم طويلاً،

واستعادت بعد ذلك برودتها الإنجليزية.

التفت نيكوس نحو زوجته الجديدة الجالسة بقربه وراح يتمعن في فمها المثير وأنوثتها الصارخة وساقيها الطويلتين، فابتسم ابتسامة رضى، لأنه سيحتفل الليلة بالنجاح الكبير الذي حققه، بين ذراعي هذه المرأة التي تخطف الأنفاس بجمالها.

ـ أين نحن؟

ـ في مرفأ أثينا!

ـ أين؟

ـ في المرفأ، علينا أن نستقل اليخت.

ـ ماذا؟

نظر نيكوس إليها مذهولاً. ما بها تبدو مذعورة؟

كانت اندريا تنظر من النافذة مصعوقة، فمنذ أن غادرا منزل جدها وهي شاردة الذهن تفكر بوالدتها. وبدلاً من أن تصحو من شرودها لتجد نفسها أمام أحد الفنادق الفخمة في أثينا، توقفت سيارة الليموزين على أحد الأرصفة، بالقرب من مركب ضخم.. فتح السائق باب السيارة، فنزلت بسرعة، ووقفت تتأمل المركب مذهولة.

أمسك نيكوس بيدها قائلاً:

ـ تعالي معي.

ـ لن أبحر على متن هذا المركب.. أهو لك؟

صر على أسنانه ضجراً.. أيعقل أن العجوز لم يتكبد عناء إخبار حفيدته عن آخر هواياته؟

ـ إنه لعبة جدك الجديدة، ولكنه أعارنا إياه لنقضي شهر العسل على متنه.

ـ حسبت أننا سنقضي الليلة في أحد الفنادق في أثينا.

ـ ماالداعي لذلك؟ يمكننا أن نبحر هذا المساء.

ـ لن أذهب إلى أي مكان.

تمالك نيكوس نفسه، حتى لا يثير فضيحة أمام السائق وأفراد الطاقم الذين كانوا ينظرون بفضول إلى العروس المشاكسة. فحملها بين ذراعيه، وهو يضحك ضحكة الانتصار وقال:

ـ سأحملك إلى المركب.

خشيت اندريا أن تقاومه لئلا يقعا في الماء. فرضخت لإرادته مكرهة، وبقيت ساكنة بين ذراعيه إلى أن أنزلها على ظهر المركب حيث كان الربان في انتظارهما.

ـ اقدم لك الكابتن بيتراشوس!

ـ أهلا بك ياسيدة فاسيليس، وأتمنى لك رحلة ممتعة.

ـ شكراً لك.

ثم التفت نحو نيكوس وقال:

ـ سننطلق في الحال، إن كنتما لا تمانعان.

ـ لامانع لدينا أبداً.

ثم تأبط ذراعها وأضاف:

ـ تعالي معي لتتفرج على اليخت.

تركته اندريا يقودها، فيما كانت تحاول لملمة شتات أفكارها.. صحيح أنها لم تحسن تقدير الأمور حين افترضت أنهما سيقضيان الليلة الأولى في أحد الفنادق الفخمة في أثينا، ولكنها ستضع حداً لهذه التمثيلية السخيفة في أسرع فرصة ممكنة. وهكذا يعودون أدراجهم قبل أن يطلع فجر صباح جديد.

على الرغم من تصميمها على عدم إظهار اهتمامها بهذا اليخت،

وجدت نفسها تجول بنظرها في أرجائه كافة مأخوذة بفخامته وذوقه الرفيع.. لا شك أن ديكوره الداخلي كلف جدها ثروة طائلة علاوة على ثمن اليخت.. ماذا أسماه نيكوس؟ لعبة جدها الجديدة؟

وقفت اندريا على سطح المركب تتأمل الشمس وهي تميل إلى الغروب، وقد بدا عليها نفاد الصبر. كم هي مدللة! فعلى الرغم من الترف الذي أحاطها به، لم تظهر له امتنانها وإن للحظة واحدة! وعاد نيكوس بالذاكرة إلى طفولته المشردة والفقر المدقع الذي عانى منه.. فقر لم يحد من طموحه، بل حثه على ارتقاء سلم النجاح، سعياً وراء الجاه والمال، ليتربع في نهاية المطاف على عرش أعظم شركة في أوروبا. فقد اقترن بحفيدة يورغوس كوستاكيس..

لذا عليه أن يحتفل بهذين الحدثين السعيدين كما ينبغي.

* * *

٨ ـ و.. أسدل الستار!

اصطف المضيفون في غرفة الطعام الفخمة العابقة برائحة الزنابق العطرة، التي تفوح من الباقات المنثورة في أرجاء الغرفة، ينتظرون العروسين لينهيا عشاءهما. وحده ضجيج المحرك المتصاعد من الخارج كان يذكرهم بأنهم في عرض البحر، إذ كانت النوافذ مغطاة بستائر مخملية سوداء مزينة بشرائط ذهبية، تتلاءم مع السجادة السميكة التي نقشت عليها رسوم ملونة.

خرق نيكوس الصمت العميق الذي ساد بينهما قائلاً:

ـ أرى أنك لم تأكلي جيداً.. أتفضلين شيئاً آخر؟

ـ لا شكراً، لست جائعة.

انسمت نبرة صوتها بالحدة، ولكنها لم تكترث للأمر لأن فكرها كان مشغولاً، فهي تحاول أن تجد طريقة ملائمة لتخبره الحقيقة، لكي تضع حداً لهذه المهزلة السخيفة التي طالت أكثر مما ينبغي.

كم تمنت اندريا لو أنها صارحته من قبل! ولكنه تركها وحدها على ظهر المركب بعد إبحارهما بوقت قصير قائلاً إن لديه أعمالاً ينجزها، ولم تره ثانية إلا منذ لحظات قليلة، حين جاء يصطحبها إلى العشاء.

صحيح أن حاجة كيم إلى المال، أعمت بصرها، فلم تقدر حجم المأزق الذي أوقعت نفسها فيه إلا بعد فوات الأوان، ولكن عليها أن تخبره بلا تردد بأن زواجهما لن يدوم..

ولكن ماذا عن المضيفين المصطفين حولهما؟ عليها أن تتخلص منهم أولاً، وتخبره بعدئذٍ أنها سترحل في الصباح، لكي يدعها تخلد إلى الفراش وحدها..

راحت الأفكار المتضاربة تتدافع في رأسها. أيعقل أن أفراد الطاقم لم يلاحظوا الفتور المخيم على علاقة العروسين؟ أترى الأمر يعنيهم؟ هل هم من البشر؟ فوجوههم تخلو من أي تعبير، بل إنهم أشبه بالأشخاص الآليين الذين نشاهدهم في الأفلام الخيالية.

طردت اندريا هذه الأفكار من رأسها كي لا تنفجر ضاحكة، وراحت تجول بنظرها في أرجاء غرفة الطعام وقد أثار ديكورها المفرط سخطها؛ إذ لا شك عندها أنه كلف مبالغ طائلة ولكنه لم يأت بنتيجة ترضي العين.

رفع نيكوس نظره إليها فوجدها تتأمل غرفة الطعام، والاشمئزاز بادٍ على محياها. أما هو فقد ضاق ذرعاً من الجلوس قبالة عروسه الجديدة، فيما المضيفون يراقبونها وهي تعبر عن حقيقة مشاعرها حياله. فهب واقفاً ومد يده لها قائلاً:

ـ تعالي معي.

ترددت اندريا قليلاً.. صحيح أن وجوده بقربها يفقدها رباطة جأشها، ولكنها شعرت بحاجة ملحة للفرار من هذه الغرفة المظلمة، ومن الغرباء المحيطين بها، علها تجد سبيلاً للتحدث إليه على انفراد.

لحقت اندريا به عبر الرواق الطويل، وهي تمسك بتنورة فستانها الأخضر الطويل كي لا تتعثر. فتح لها نيكوس باباً في آخر الرواق وقال:

ـ تفضلي!

كانت غرفة النوم مغطاة بالخشب، وقد وضع في وسطها سرير

ضخم زين بشرائط حريرية ذهبية اللون.

ـ أريد أن أقول لك شيئاً!

ـ هذا مذهل! قررت عروسي الجميلة أن تخرج أخيراً عن صمتها!

أثارت سخريته غضبها فرفعت ذقنها بتحدٍ وقالت:

ـ سأعود غداً صباحاً إلى إنجلترا وأتقدم بدعوى طلاق.

نظر نيكوس إليها بعينيه الثاقبتين والشرر يتطاير منهما، فأحست بألم خفيف في رجليها من شدة التوتر.

ـ أظنك مخطئة في حساباتك.

ـ لن أبقى معك.

ـ أتسمحين لي بأن أسألك عن سبب هذا الإعلان المفاجىء؟

تمالكت اندريا أعصابها وأجابت:

ـ حسبت أن الأمر في غاية الوضوح. فالهدف الوحيد من زواجك بي هو الاستيلاء على شركات جدي. وبما أنك حققت مرادك فلا داعي للمضي في هذه المهزلة.

ـ تحليلك مثير للاهتمام ولكنه ناقص.

أجابها بنبرة هادئة، جعلت قلبها ينتفض:

ـ علاوة على دم يورغوس كوستاكيس الذي يجري في عروقك، أرى أنك تملكين مفاتن كثيرة أريد أن أتمتع بها.

وتقدم نحوها، وقد أضاءت عينيه مشاعر عنيفة جياشة. فتراجعت اندريا إلى الخلف صارخة:

ـ ابقَ بعيداً عني.

ـ إياك أن تصدري لي الأوامر ثانية، لأنني لن أنصاع لها أبداً.

ـ إن كنت تبحث عن علاقة ترضي شهواتك، فما عليك سوى الاتصال بإحدى عشيقاتك.

تسمر نيكوس في مكانه مصعوقاً.

ـ ماذا؟

ـ أظنك سمعتني جيداً، فالجميع يعلم أنك اتخذت لنفسك عشيقتين.. والله وحده يعلم إن كنت على علاقة بسواهما. فما رأيك لو تتصل بإحداهما وتبقى بعيداً عني؟

ـ وكيف علمت بالأمر؟

ـ أعطاني جدي فكرة واضحة عن حياتك العاطفية، وحذرني من التذمر من مغامراتك العابرة، قائلاً إن المرأة اليونانية تغض الطرف عن هفوات زوجها.

تفهم نيكوس مشاعرها ولكنه حاول أن يخفي ذلك تحت قناع من الغضب الشديد. لم يكن غاضباً منها بل من جدها البائس. كيف تجرأ على إفساد حياتهما الزوجية، قبل أن يتسنى لهما أن يدخلا القفص الذهبي؟

ـ حسنا.. اسمعيني جيداً.. لن أنكر بأنني كنت على علاقة بنساء كثيرات. ولكنني لم أحاول الاتصال بأي منهن منذ أن وقعت عيناي عليك!

ـ تخليت عنهن بهذه السهولة؟ كم هذا لطيف!

ـ أؤكد لك بأن علاقتي بهما لم تكن جدية.. فكزانتي محاطة بالعشاق الذي يغدقون عليها بالمال والمجوهرات، وايسم فاندرس..

ـ ايسم فاندرس العارضة المشهورة؟ إنها واحدة من أجمل النساء في العالم!

فأجابها نيكوس ببرودة متجاهلاً النبرة الغريبة التي بدت في صوتها.. نبرة تأرجحت مابين الفزع والغيرة..!

ـ إنها هي! ولا شك عندي أبداً بأنها وجدت بين أحضان أحد

المعجبين فيها ما يسليها عني!

ولكن اندريا لم تشأ أن تسمع شيئاً عن ايسم فاندرس أو اكزانتي، لأن الغيرة أخذت منها مأخذاً.. غيرة ليست في محلها، إذ قلما يهمها أمر عشيقتيه، ولا شيء سيثنيها عن الرحيل صباح الغد.

ـ أظنني فهمت الآن سبب تجهمك طوال النهار.

ـ سأرحل في الصباح الباكر، في مطلق الأحوال. ولا علاقة لذلك بمغامراتك العاطفية. ولكنني لا أنوي المضي قدماً في هذا الزواج.

التمعت عيناه من جديد ببريق القسوة:

ـ وما هو سبب معارضتك الشديدة لهذا الزواج؟

أخذت اندريا تتأمل مظاهر الترف المحيطة بهما وهي تفكر بشقتها البسيطة الضيقة في لندن. من المؤكد أنه سيعيدها إلى ديارها في الحال إن أخبرته الحقيقة كاملة.

ـ لا أعرف ما الذي دعاني لأتزوج بك! فكلانا ينتمي إلى عالم مختلف..

طبعاً! فهو صبي يتيم عاش طفولته مشرداً، وهي حفيدة كوستاكيس المدللة، التي ولدت وفي فمها ملعقة من ذهب.

ـ ولكنك زوجتي يا اندريا، ولن أجعل من نفسي سخرية الجميع بالسماح لك بهجري يوم زفافنا!

وتقدم نحوها، فيما بقيت هي مسمرة في مكانها عاجزة عن الحراك، وعيناه الثاقبتان تطالبانها بإلحاح بحقوقه الزوجية. فجأة زال خوفها وأحست لثوان قليلة برغبة جامحة بمجاراته. حاولت صرف هذا الشعور لكنها لم تفلح.. فراحت تبحث في داخلها عن قناع اللامبالاة الذي اعتادت أن تتسلح به كلما وجدت نفسها برفقته، وقد أدركت أن الموقف يستدعي أن تضعه من جديد لتتمكن من مواجهته.

وفي تلك اللحظة، مد نيكوس يده الطويلة إليها وراح يد... خدها وعنقها بأنامله الرقيقة قائلاً:

ـ في المرة الأخيرة التي ارتديت فيها هذا الفستان، ذبت شوقاً بين ذراعي.

ثم استدار نحو الخزانة خلفه، وفتح أبوابها، وراح يقلب محتوياتها إلى أن عثر على رداء النوم الشفاف الذي اشتراه لها في أثينا، فأخذه ورماه في نحوها قائلاً:

ـ اذهبي وبدلي ملابسك.

أذعنت اندريا لرغبته، وهي تعي أنه لن يمضي وقت طويل قبل أن تصبح زوجة نيكوس كوستاكيس المنبوذة..

جرحتها الحقيقة، وكأن سكيناً انغرز في قلبها. فاعتصر الألم فؤادها، ألم فاق كل توقعاتها. ولكنها مسألة لابد منها. فمنذ اللحظة الأولى التي وقع فيها نظر نيكوس عليها، على شرفة قصر جدها، رأت شعلة الرغبة تتأجج في عينيه.. وها قد جاء الوقت لإخماد هذه الشعلة، وإلى الأبد..

أقفلت اندريا باب الحمام خلفها، أما نيكوس فاستبدل بذلته الرسمية بملابس مريحة، وجلس يستعيد في رأسه ذكرى الأسابيع القليلة الماضية.. وتذكر في تلك اللحظة القلق الذي ساوره حيال ليلة الزفاف، والطريقة التي ينبغي عليه أن يعامل بها عروسه العذراء المطيعة..

التوى فمه سخرية! فهذه الكلمة لا تليق باندريا لأنها بعيدة كل البعد عن الطاعة.. أتراه يفضلها مطيعة؟ أبداً.. فهو يريد زوجة مليئة بالعاطفة تبادله مشاعره الجياشة.

أحس نيكوس بالإثارة تسري على طول عموده الفقري. إنه يريد

اندريا وليس امرأة أخرى سواها.. إذ عبثاً حاول أن يستعيد في ذهنه صورة اكزانتي أو إيسم، لأن صورة امرأة واحدة كانت تسيطر على تفكيره...

إنها صورة اندريا، زوجته!.. استعرت نيران الشوق في داخله من جديد، فراح يذرع الغرفة جيئة وذهاباً، في انتظارها.. وإذا بها تفتح الباب وتخرج منه تاركة نيكوس مذهولاً. فقد بدت في ردائها الحريري الشفاف الذي يبرز مفاتنها الصارخة أشبه بملكة متوهجة الشعر..

ـ تبدين في غاية الجمال!

لم تغب عنها نبرة صوته التي حملت في ثناياها مشاعر جامحة، فأحست بالحرارة تغزو شرايينها. غير أن ذلك لم يدم طويلاً، إذ ظهر بريق خطير في عينيها وهي تسأله:

ـ هل أنا جميلة حقاً؟

وقفت أمامه شامخة الرأس فيما راحت عيناه تتفرسان فيها بإعجاب شديد.

ـ أهذا ما تريده يا نيكوس؟ امرأة جميلة؟ هل تجدني جميلة بما فيه الكفاية؟

اشتبكت نظراتهما فاحست بتوتر في حلقها، إلا أنها تابعت تقول:

ـ هل تراني حقاً جميلة يانيكوس؟ هل عروسك جميلة؟

لم يقوَ نيكوس على الرد عليها وكأن الكلمات ماتت على لسانه.

فتوجهت نحو السرير تتبختر وكأنها تقصد إغواءه. ثم جلست على حافته وتركت كم ردائها الحريري ينحسر كاشفاً عن كتفها.

تقدم نيكوس نحوها وقد بات عاجزاً عن التحمل أكثر. من هي هذه الساحرة؟ تارة يجدها باردة تطالبه بإلحاح بالطلاق وحبر عقد زفافهما لم يجف بعد وطوراً ناعمة رقيقة تغويه وتوجه له دعوة مفتوحة

لمغازلتها.

ـ اخلعي رداءك يا اندريا!

جاء طلبه هذا أقرب إلى الرجاء والتوسل، فومضت عيناها بوميض غريب.

ـ أرجوك..

وساد المكان صمت مطبق لا يخرقه إلا نبضات قلب نيكوس المتسارعة. فخلعت اندريا رداءها ورمته جانباً وراحت تحدق فيه بفضول، وقد حولته الصدمة إلى تمثال من الحجر..

رباه! رباه! يا لهول ما يراه؟ ما هذه الندوب المقززة التي تغطي ساقيها؟ ما الذي حصل لها؟

رأت اندريا تعابير الاشمئزاز بادية على وجهه، فأخذت رداءها، وارتدته من جديد، وعقدت الحزام عند الخصر بإحكام لتخفي عنه المنظر البشع.

قالت له بعد حين:

ـ أظن أن المسرحية قد انتهت وأسدل الستار. سأذهب للنوم في غرفة أخرى، ولكن أرجو منك أن تطلب من الربان أن يعيدني إلى مرفأ بيروس لأتمكن من السفر غداً إلى لندن.

واستدارت نحو الباب لتغادر الغرفة، إلا أنه أمسك بمعصمها..

ـ اتركني أرجوك.. ولا داعي لأن تقول شيئاً. يؤسفني أن تصل الأمور بيننا إلى هذا الحد. حسبت أنك ستقبل بحل زواجنا من دون جدل، ولكنني لم أستطع اقناعك. والآن، دعني أحزم أمتعتي وأذهب إلى غرفة أخرى.

ولكنه لم يفلت يدها، فأثارت أصابعه رجفة في كيانها.

جلس نيكوس على حافة السرير وأجلسها قربه ثم سألها:

ـ ما الذي حصل لك يا اندريا؟

حاولت اندريا عبثاً أن تجد الكلمات لكنها لم تفلح. فعاد يسألها بإلحاح:

ـ ما الذي حصل لك؟

وأخيراً تمكنت من الرد.

ـ تعرضت لحادث سير حين كنت في الخامسة عشرة من عمري. خرجت يومها برفقة بعض الأصدقاء لمشاهدة فيلم سينمائي، وفي طريق العودة انفجر أحد إطارات السيارة فارتطمت بالحائط، وأصيبت ساقاي بجروح خطيرة إثر تكسر الزجاج وتطايره. ونقلت على الأثر إلى المستشفى. يومها أراد الأطباء بتر ساقيّ..

توقفت قليلاً عن الكلام لتلتقط أنفاسها، ثم تابعت تقول:

ـ رفضت والدتي ذلك بشدة، وألحت عليهم ليبذلوا قصارى جهدهم لإنقاذهما. ولكن العلاج تطلب وقتاً طويلاً وبقيت في المستشفى أشهراً عدة، خرجت بعدها على كرسي ذي عجلات لأن الأطباء حسبوا أنني لن أمشي ثانية على قدمي. ولكن والدتي لم تيأس، واصطحبتني إلى مركز للمداواة الطبيعية حيث أجريت لي عدة عمليات أخرى، تمكنت بعدها من المشي ثانية.

ورمقته بنظرة عجلى قبل أن تضيف:

ـ ولكنني لا أستطيع القيام بأمور عدة، كالرقص مثلاً.. وحدها السباحة مسموحة لأنها جزء من العلاج، ولكنني لا أمارسها إلا في ساعات الصباح الأولى كي لا يراني أحد.. أتعلم شيئاً؟ أظن أنني محظوظة للغاية.. إذ قابلت في المستشفى وفي مركز المداواة الطبيعية أشخاصاً حالتهم أسوأ بكثير من حالتي. صحيح أنني لن أتزوج أبداً، لأن لا أحد قد يرغب بي بعد أن يرى...

وقبل أن تعي ما يحصل، وجدته راكعاً أمامها ويداه تتحسسان مكان الندوب. ثم أبعد برقة رداءها، وعاد يتحسسها من جديد.

لم تحرك اندريا ساكناً، وقد سرت قشعريرة من أخمص قدميها إلى أعلى رأسها. كيف يمكنه لمسها؟ ألا يشعر بالقرف؟

ومرت في ذهنها ذكرى شاب يدعى داني افتتن بها منذ أن وقعت عيناه عليها. فراح يلاحقها محاولاً التودد إليها، إلى أن رضخت في نهاية الأمر لإلحاحه الشديد ووافقت على الخروج معه.

كان داني شاباً وسيماً، يجيد الاطراء، لعب عليها دور العاشق الولهان بإتقان، فوقعت في حبائله وقررت أن تكشف له سرها وتريه ساقيها..

ولم تنس يوماً النظرة التي بدت في عينيه، أو الكلمات البشعة التي تلفظ بها.

ـ نيكوس!

أمسكت رأسه بين يديها:

ـ أرجوك لا تفعل!

ـ حبيبتي...

حملها بين ذراعيه وضعها على السرير ثم استلقى بقربها.

ـ نيكوس..

ـ لا أظن أن الوقت ملائم للكلام.

وضمها إليه بحنان، وكأنه يريد أن يمحو من ذاكرتها كل الصور الحزينة، فاستجابت له استجابة طغت على الخوف الذي كان يستولي عليها.

ثم أخذ يعانقها عناق من طال انتظاره وشوقه، مفجراً بينهما مشاعر عطشى إلى المزيد من الارتواء وذلك باندفاع لا سيطرة عليه. ما لبثت

تلك المشاعر أن جرفتهما معاً إلى بحر من الأحاسيس العاصفة التي أذابت كيانهما.

* * *

www.elromancia.com

٩ ـ على أجنحة النار . . .

تسللت أشعة الشمس عبر النوافذ الواسعة، فبهر نورها اندريا وراحت تتململ في سريرها، رافضة أن تستفيق من سباتها لتواجه ما تخشى مواجهته.

أحست بأحدهم يهزها من كتفها بإلحاح:

ـ استيقظي يا حبيبتي، ولا تفسدي علينا هذا النهار الجميل! هيا الفطور جاهز.

بدت نبرة صوته في غاية الرقة، وكأنه تعمد ذلك ليساعدها على التحرر من رفضها. . . رفضها النهوض من فراشها، ورفضها الاعتراف بوجوده. . عليها أن تواجه الواقع مهما كان صعباً، لأنه يريدها بكل جوارحه، ولن يدع شيئاً يقف في وجهه.

طبع قبلة على خدها وأضاف:

ـ هيا أيتها الكسولة! فقد أعد لك كبير الطهاة إبريقاً من الشاي على الطريقة الإنكليزية. لذا أرجو منك أن ترتشفيه حتى النقطة الأخيرة، وإلا شعر بالإهانة، وتعكر مزاجه، وتركنا نموت جوعاً. . هيا، وافيني إلى ظهر المركب بعد عشر دقائق.

ثم داعب وجنتها بخفة وتابع يقول:

ـ ثقي بي. . . ستسير الأمور على خير ما يرام.

وغادر الغرفة منشرحاً وأقفل الباب خلفه.

فاسرعت اندريا تستحم وترتدي ملابسها، وفكرة واحدة تستحوذ على تفكيرها، وهي تحاول بكل مالديها من قوة أن تصدها.

صعدت بعد حين إلى ظهر المركب، فوجدت نيكوس جالساً إلى مائدة الفطور مستمتعاً بأشعته الدافئة. وإذا بشريط أحداث ليلة البارحة يمر في ذهنها بتفاصيله كافة.

وكأنما نيكوس قرأ في عينيها ما يجول في ذهنها، فنهض عن الكرسي وأسرع نحوها قائلاً:

ـ ماذا تريدين أن تأكلي؟

ثم أشار بيده إلى «بوفيه» وضعت عليه أطباق مختلفة تكفي لجيش بكامله.

فتركته اندريا يختار لها بيضاً مقلياً مع التوست والزبدة وبضع شرائح من الأناناس الطازج، وقد أحست فجأة بجوع شديد.

لم تلمح أياً من أفراد الطاقم في الجوار، فوجدت في ذلك راحة لها، وأخذت تتأمل المنظر من حولها. كانت الطاولة موضوعة في مواجهة مؤخرة المركب، والمياه الزرقاء اللامعة الممتدة تحت ناظريها ترضي العين وتبهج الروح. فاجتاحتها موجة عارمة من السعادة لم تعرف أسبابها. لكن. . كيف يعقل ألا ترتفع روحها المعنوية في نهار مماثل؟

انكبت على طبقها تتناول طعامها بنهم لتعوض عن عشاء البارحة الذي لم تذق خلاله لقمة واحدة. فيما جلس نيكوس على كرسيه يقلب صفحات جريدته، هو يتناول طعامه بشهية. بين الحين والآخر، كان يضع جريدته جانبا ليسألها عما إذا كانت تحتاج إلى المزيد من الشاي أو

التوست أو الزبدة. وشيئاً فشيئاً وجدت نفسها قادرة على رفع عينيها عن طبقها لتنظر إلى الرجل الذي يجلس قبالتها. كان يرتدي قميصاً زاهي اللون وبنطلوناً قصيراً، وقد غابت عن وجهه ملامح التسلط والقسوة.

أنهى نيكوس قهوته وطوى جريدته ووضعها جانباً. ثم رفع نظره إليها ليجدها مسترخية في مقعدها، ونسمات الصباح العليلة تداعب خديها وتعبث بخصلات شعرها.

سألته اندريا فجأة والحيرة بادية على وجهها:

ـ أين نحن؟ لِمَ توقف اليخت؟

ـ إننا على مقربة من هيراكون. يمكننا النزول إلى اليابسة إن كنت ترغبين في ذلك.

ـ هيراكون؟ أليست إحدى مدن جزيرة كريت؟

ـ بلى.. تعالي لتراها من مؤخرة المركب.

وتوجها معاً نحو مؤخرة المركب ليشاهدا أكبر جزيرة في اليونان، ولاحت لهما الجبال الشاهقة المحيطة بها من بعيد.

ـ تقع كنوسوس على بعد بضعة كيلومترات نحو الداخل.. ألا تودين رؤية «المينوطور»؟

راقت لها الفكرة، ولكنها تذكرت في تلك اللحظة أنها تريد العودة إلى مرفأ بيروس لتلحق بطائرتها.

أمسك نيكوس بيدها وقال لها وكأنه قرأ أفكارها:

ـ ابقي قليلاً بعد لنقوم بجولة سياحية في المنطقة، ونعوض عن التوتر الذي قاسينا منه خلال الأسابيع القليلة الماضية.

حاولت الرد عليه، لكنها لم تفلح. فلو فعلت، لاضطرت إلى فتح باب بالكاد تمكنت من إغلاقه صباح اليوم عند نهوضها من الفراش، وعندئذٍ سوف تواجه ما لا تقوى أبداً على مواجهته.

لم تجد أمامها خياراً آخر سوى مجاراته، والنزول إلى البر لتتعرف إلى الجزيرة، فهي تتوق كثيراً لرؤية آثارها الشهيرة.

* * *

انضم نيكوس واندريا إلى سيل السياح الذين أتوا من جميع أقطار العالم لمشاهدة بقايا قصر المينويين الشهير، الذي يعود بناؤه إلى العصر البرونزي، والذي دمره زلزال عنيف.

شعرت اندريا بالذهول والحزن في آنٍ معاً، فالجدران المبنية بإتقان تدل على عالم احتلت فيه الطبيعة والخصوبة أهمية أكبر من الحروب والغزوات.

قال لها نيكوس:

ـ لم تكن القوة العسكرية تعني لهم شيئاً، حتى إنهم لم يبنوا أسواراً. فقوتهم كانت تكمن في إمبراطوريتهم البحرية الممتدة من مصر إلى الشرق وآسيا الصغرى وصولاً إلى اليونان.. وأظن أن أسطورة تقديم سبعة فتيان وسبع عذارى قرباناً «للمينطور»، تعود إلى الأتاوة التي كان المينويون يتقاضونها من المسينيين القدامى.. ولا شك أن المنافسة التجارية الحادة، هي التي أدت إلى سقوط إمبراطورية المينويين وليس موت الوحش.

ـ هذا فضلاً عن الزلازل والأعاصير البحرية.. كم هذا مريع!

جالت اندريا بنظرها في المكان. فهذا القصر الذي كان يتألف في الماضي من غرف وسلالم وحدائق وأبراج ويعج بأناس عاشوا فيه حياة طبيعية، تحول اليوم إلى أنقاض يلفها الصمت.. أما سكان هذا القصر فقد لفحتهم الشمس الحارقة عينها التي تلفح الآن وجهها، ووطأت أقدامهم الأرض عينها التي تطأها الآن بقدميها..

أيقظها صوت نيكوس من شرودها، قائلاً، وكأنه أدرك ما يدور في رأسها:

ـ علينا أن نستمتع بالحياة قبل فوات الأوان. فالله وهبنا نعماً كثيرة، لاينبغي التقليل من شأنها: عقلنا وقلبنا وجسدنا وأهواءنا.

التقت عيناهما لثوانٍ قليلة، فقرأت في عينيه تعابير جميلة!

ـ هل تشعرين بالجوع؟ هيا بنا نتناول الغداء.

دخلا بناء على إصرار اندريا، إلى مطعم صغير متواضع للسياح، أعجبتهما فيه الكرمة الكبيرة التي تظلل شرفته الفسيحة. تناولا سلطة يونانية بالجبنة البيضاء والخضار وطبقاً تقليدياً من لحم الضأن.

على الرغم من أن خيارها فاجأ نيكوس إلا أنه أخفى عنها مشاعره. إذ خطر له أنها ملت من المطاعم الفخمة وتريد أن تتذوق الأطباق الشعبية وتختلط بأشخاص من الطبقات المتوسطة.

تعجب وهو يراها تتصرف على سجيتها في هذا المكان، وقد بدت في غاية البساطة في بنطلونها الجينز وقميصها القطني الأبيض، فيما شعرها معقوص إلى الخلف على شكل ذيل حصان.

ـ أين تفضلين الذهاب بعد ظهر اليوم؟ ما رأيك لو نقصد الشاطىء.

ولمن نفسه في الحال، على تسرعه. إذ راح يتردد في أذنيه، صدى كلماتها وهي تخبره بأنها لا تمارس رياضة السباحة إلا في ساعات الصباح الأولى كي لا يراها أحد.

– لعلك تفضلين زيارة بلدة هيراكليون؟ أو التوغل في المناطق الداخلية؟ ففي جبل إيدا هناك مغارة جميلة يقال إن الإله زوس ولد فيها.

ـ تبدو لي فكرة جميلة، ولكنني لم أعد قادرة على المشي.

ـ سأطلب سيارة في الحال.

وأخرج هاتفه النقال واتصل بمكتب لتأجير السيارات، فطلب منهم أن يرسلوا لهما سيارة ليموزين فخمة مع سائق.

ـ نيكوس!

توقف عن الكلام وهو ينظر إليها مدهوشاً.

ـ هل من الممكن أن نستأجر سيارة مثل هذه؟

وأومأت بيدها إلى سيارة جيب، كانت تمر على مقربة منهما..

ـ أظن أن التجول فيها ممتع.

واكتشفت لأول مرة في حياتها، أن الزواج من رجل ثري له منافع كثيرة. إذ لم تكد تنهي كلامها حتى أجرى اتصالاً آخر واستبدل السيارة الفخمة بجيب فخم تولى قيادته بنفسه.

خلال الطريق، اضطرت أندريا إلى التمسك جيداً بمقعدها، كي لا تتمايل يميناً وشمالاً، وهما يصعدان الجبال الوعرة والضيقة. غير أن المناظر الخلابة كانت تستحق العناء.

ـ هذا رائع! شكراً لك يا نيكوس.

توقفا في إحدى البقع المطلة على البحر، وراحا يتأملان الجزيرة الممتدة تحتهما بغاباتها الكثيفة وشواطئها الرملية.

ـ يسرني أنك تستمتعين بوقتك.

وابتسم لها ابتسامة مثيرة جعلت قلبها يقفز فرحاً، إلا أنها أشاحت نظرها بعيداً وهي تقول:

ـ لم أكن أعلم أن كريت مليئة بالغابات.

ـ هذا صحيح. فحين حكم الفينيقيون ومن بعدهم الأتراك هذه الجزيرة قطعوا أشجارها، واستخدموا الخشب لبناء السفن. وفي تلك الأيام كانت ماعز الجبال، عدو الأشجار الأول، لأنها كانت تأكل

الشجيرات قبل نضوجها.. إلا أن السلطات أصدرت قراراً يقضي بدفع جائزة مالية لكل من يقضي على معزاة في الجبال. ويروى أن طبقة الفلاحين الفقراء، وضعت عند سماعها بهذا القرار، برنامجاً مكثفاً لتربية الماعز..

ضحكت أندريا ضحكة مشرقة، فتأبط ذراعها بشكل ودي وأضاف:

- ما رأيك لو نشرب فنجانًا من القهوة؟

توقفا قرب مقهى يقع على تلة شديدة الانحدار. فتناولا قهوتهما بصمت وكأنهما يستمتعان بالهدوء والسكينة، اللذين يلفان المكان.

ووجدت أندريا نفسها تعود بالذكرى إلى أحداث ليلة البارحة.

ولكنها الآن سعيدة برفقة نيكوس ولن تدع شيئاً يفسد عليهما هذا النهار الجميل.

* * *

بلغا الساحل في ساعة متأخرة من بعد الظهر.

- آن الوقت لنقوم بنزهة مشياً على القدمين.

- لماذا؟

- يخرج سكان المدينة قبل العشاء، للتنزه مشياً على الأقدام في أرجائها ورؤية الناس.

استمتعت أندريا بالنزهة المسائية ولم تنزعج من ذراع نيكوس التي بقيت تحيط بكتفيها طوال الوقت، وكأنها تحميها من السياح الفضوليين الذين كانوا يتدافعون في الشوارع.

جلسا بعد حين في أحد المقاهي المحاذية للرصيف يرتشفان شراباً بارداً، ويتحدثان عن كريت ونضالها الطويل لنيل استقلالها، ونهضتها

الحديثة التي جعلت منها مركزاً سياحياً لا مثيل له.

- هل تعرف الجزيرة جيداً؟

هز رأسه نفياً.

- اقتصرت زياراتي لها على اجتماعات العمل. إنها المرة الأولى التي أزور فيها معالمها.

وتوقف قليلاً عن الكلام ثم أضاف.

- ما رأيك لو نقضي فيها بضعة أيام؟

لم تنبس أندريا ببنت شفة فوضع يده على يدها وقال:

- لا داعي لاتخاذ قرارات متهورة. دعي الأمور تسير في مجراها الطبيعي.

كانت كلماته تحمل بين ثناياها معانٍ كثيرة ولكنها لم تشأ أن تتحداه.

- ألا يجدر بنا أن نعود إلى هيراكليون؟ ألن يقلقوا علينا؟

ابتسم نيكوس إبتسامة ناعمة وأجابها:

- يمكننا العودة ساعة نشاء لأن اليخت يرسو على الشاطىء. فلا داعي للعجلة.

كم هو جميل أن يقضي المرء عطلته متنقلاً من مدينة إلى أخرى ويخته يقتفي أثره حيثما ذهب!

سألها نيكوس فجأة:

- أتريدين أن نتناول العشاء على البر؟

- هل يمكننا ذلك؟

- إنه شهر.. إنها عطلتنا ويمكننا أن نفعل ما يحلو لنا.

كان الشارع من حولهما يعج بالمقاهي والمطاعم والسياح الذين أتوا بحثاً عن اللهو، هرباً من حياتهم الرتيبة.. تناهى إلى مسامعهما

صوت موسيقى البازوكي المتصاعدة من إحدى الحانات . .

ـ حسناً . . سنبقى في البلدة للعشاء .

لم تشأ أندريا أن تعود إلى اليخت الضخم التي تثير فخامته المبالغ فيها اشمئزازها، بالإضافة إلى أنها كانت تشعر بالأمان هنا وسط هذا الحشد من الناس كما أن نيكوس يحسن معاملتها إلى أقصى حد. ارتشفت جرعة من عصيرها وراحت تستعيد في ذهنها ما حصل معها من دون أن تسمح للانفعال بالسيطرة عليها . .

لقد تزوجها نيكوس وأثار فيها أحاسيس لم تختبرها من قبل، فلم تعد تلك الفتاة العذراء التي تنقصها الخبرة، بل أصبحت امرأة تعرف جيداً ما تريده . .

كان بوسعها أن تردعه ولكنها لم تفعل، وهي تعي جيداً أن تصرفه كان نابعاً من إحساسه بالأسف نحوها . إنها الحقيقة التي تعذبها وتقض مضجعها . فقد كانت تتمزق ما بين الإحساس بالخزي والإحساس بالعجب، الخزي لأن نيكوس الرجل الكامل الرجولة لامس جسدها المشوه مكرهاً، والعجب لأن الرجل الذي تزوجها من أجل الاستيلاء على شركات جدها، شعر بالأسف نحوها . .

أحست بمشاعر الحب تتأجج في داخلها، مشاعر خطيرة للغاية . . . وقد تلحق بها الأذى .

فنيكوس فاسيليس الذي تزوج وريثة كوستاكيس، وليس أندريا فرايزر المتواضعة، لن يكترث أبداً لهذه المشاعر، وعليها أن تحذو حذوه .

* * *

عادا إلى المركب في ساعة متأخرة من الليل . وبقيت أندريا طوال

فترة العشاء غارقة في أفكارها، والتوتر بادٍ على وجهها . غير أن نيكوس لم يحرك ساكناً، وحافظ على رباطة جأشه كي لا تحصل مواجهة بينهما .

ـ تعالي نشاهد النجوم .

وقادها إلى ظهر المركب، فتبعته بلا تردد، شاعرة بالفرح لأنه أرجأ موعد خلودهما إلى الفراش .

كانت السماء مرصعة بالنجوم المتلألئة التي انعكس نورها على سطح المياه، فبدا لونها الأسود ملتمعاً ببريق كالكريستال . وقفا جنباً إلى جنب يحاولان مشاهدة الكواكب :

ـ أتعلم أننا لا نستطيع رؤية الكواكب في لندن بالعين المجردة؟

ـ علينا أن نقضي الليل في أحد الأكواخ في جبل إيدا لنشاهد الكواكب بوضوح .

ـ كريت جزيرة رائعة . . أشكرك على اصطحابي لزيارتها .

دس يده خلف ضفيرة شعرها وقال :

ـ يمكننا أن نمضي فيها وقتاً أطول، فما رأيك؟

سرت رجفة في كيانها وقد أحست بخطر يحدق بها .

ـ نيكوس .

انهمك نيكوس بفك ربطة شعرها .

ـ نيكوس .

وتوقفت عن الكلام، وقد أخذ قلبها يدق بسرعة، محاولة التركيز على ما تريد قوله :

ـ أريد أن أتحدث إليك .

لم يكترث لكلامها، وتابع يفك ربطة شعرها، ليتركه ينسدل بحرية على كتفيها .

ـ بأي شأن؟

ـ بشأن... بشأن ما حصل.

ـ متى؟

وراحت أنامله تجول بخفة على خديها..

ـ البارحة.

ـ آه.. فهمت.

ورفع بصره نحوها، فبدأ الدم يغلي في عروقها. وعلى الرغم من المخاوف التي انتابتها، لم تستطع أن تبعد نظرها عن الرجل الذي جعل قلبها يخفق بطريقة غريبة.

كان قريباً جداً منها وعطره يتغلغل في مسام جلدها. لم تستطع الابتعاد عنه، فيما راحت أنفاسها تتسارع. حاولت كبت مشاعرها الثائرة، وهي تنتظر عناقه بلهفة، وتتوسل إليه بصمت أن يضمها إليه..

فسارع نيكوس ويعانقها بعاطفة محمومة كادت تفقدها صوابها. استمتعت بكل لحظة من عناقه، وراحت يداها تعبثان بشعره دافعة هذا العناق إلى الاستمرار..

وأدركت اندريا فجأة حقيقة ما يحصل، فابتعدت عنه لاهثة وصرخت:

ـ نيكوس، لا!

أجابها بنبرة ساخرة:

ـ لا!

ـ لا! لا تفعل هذا. قلت لك إنني أريد التحدث إليك بشأن ليلة البارحة. أعرف جيداً ما الذي دفعك للقيام بذلك.. أنت تشعر بالأسف نحوي، وتشفق على حالي.. ولكن لا عليك.. لست مضطراً لإعادة

الكرة!

قال لها ببرودة:

ـ يسرني أنك تفهمت موقفي! أؤكد لك أن ليلة البارحة كانت أسوأ ليلة في حياتي.

ورمقها بنظرة عجلى فإذا بقسمات وجهها تتبدل لدى سماعها كلماته اللاذعة وتصبح قاسية كالصلب. ولكنه تجاهل الأمر وتابع يقول:

ـ نعم.. أسوأ ليلة في حياتي.

أحست اندريا بأظافرها وهي تنغرز في راحة يدها. لِمَ يعاملها بهذه القساوة؟ لِمَ يقذف في وجهها اشمئزازه الشديد من جسدها المشوه؟

أرادت أن تصم أذنيها، كي لا تسمع صوته. ولكنه بدا مصمماً على إذلالها:

ـ لم أمر في حياتي بتجربة مشابهة لتلك التي مررت بها البارحة. كانت تجربة مريعة، ولا أريد أن أمر بها ثانية..

ثم نظر في عينيها وأضاف:

ـ كنت أتعذب عذاباً شديداً لأنني أريدك بكل جوارحي. لا أستطيع أن أصف لك ما أحسست به وأنا أضمك بين ذراعي، عاجزاً عن الاستحواذ عليك بكليتك.. رباه! لقد ذقت الأمرين ولا أريد أن أتعذب ثانية. وأمسك بكتفيها ثم تابع يقول:

ـ كانت ليلة البارحة مميزة بالنسبة إليك، أما الليلة فستكون مميزة بالنسبة لي.

وعانقها عناقاً محموماً. ثم حملها بين ذراعيه، وقادها إلى غرفتهما ليضعها فوق السرير. فأحست اندريا وكأنها ترمي نفسها في دوامة..

بل كأنها ترتفع إلى سماء منتصف الليل المتلألئة بالنجوم على أجنحة من نار.

* * *

استيقظت اندريا من سباتها مذعورة وقد أحست به يحاول التملص من عناقها، لينهض من السرير، آخذاً معه الدف الذي كانت تشعر به.

فقال لها نيكوس ضاحكاً:

ـ لا أريد الابتعاد عنك لحظة واحدة يا حبيبتي، ولكن علي أن أعتني بك قليلا.

وتسلل من الفراش ثم توجه إلى الحمام الملاصق للغرفة. فاغمضت اندريا عينيها واستسلمت من جديد للنوم وقد غمرها إحساس بالإرهاق بعد حرارة العواطف الجياشة التي مرت بها.

عاد نيكوس إلى الغرفة وحملها من السرير، فاستفاقت من نومها الخفيف لتجد نفسها في المغطس، المملوء بالمياه الساخنة والصابون المعطر.

ـ لا أريد أن أسبب لك المزيد من الألم يا حبيبتي.

أطلقت اندريا تنهيدة عميقة واسترخت في المغطس مغمضة العينين.

كانت المياه تتدفق حارة من حواليها، فأدركت للحال أن هذا المغطس الكبير هو عبارة عن جاكوزي. ولم تمضِ ثوانٍ قليلة حتى زال اضطرابها، وأحست لأول مرة بتأثير الجهد الجسدي الذي بذلته خلال الساعات الماضية. فاستسلمت لحرارة المياه التي كانت تتغلغل في جسدها المنهك، تخفف من تعبه.

ـ هل تشعرين بالألم؟

فتحت أندريا عينيها فوجدته واقفاً بقربها يتأملها، ولكنها لم تستطع أن ترفع نظرها لتقابل عينيه..

ـ كلا... أشعر وكأن أحداً يدلكني.

والتفتت عيناها فقرأت في عينيه تعابير جعلت الدم يغلي في عروقها، كدليل على المشاعر المتبادلة بينهما.

ـ نيكوس.. أنا..

وضع يده على فمها لإسكاتها:

ـ لا تقولي شيئاً. ولا داعي لاستعجال الأمور.. ما عليك الآن سوى أن تسترخي لتستعيدي قواك. سأتركك لوحدك قليلاً وأعود بعدها لاصطحابك إلى الفراش.

تركها لوحدها تستمتع بالهدوء والسكينة، والمياه الحارة تغمرها، مزيلة تشنج أعصابها. ثم عاد بعد قليل فساعدها على الخروج من المغطس، وقد بدا جلياً أن النعاس غالبها..

ثم لفها بمشفة كبيرة وحملها إلى السرير، واطفأ النور، ثم استلقى بقربها. وسرت اندريا كثيراً بعناقه لها:

ـ نيكوس...

ـ كفاك كلاماً ونامي.

وغمرها بحنان، فاسترخت بين ذراعيه، فيما راحت يداه تداعبان بشرتها المشوهة برقة وخفة.

* * *

١٠ ـ إني راحلة!

كانت يداه لا تزالان تحيطان بها عندما أيقظتها، صباح اليوم التالي، أشعة الشمس من سباتها العميق. فتمطت وهي تحاول تحريك أطرافها المتيبسة.

تململ نيكوس إلى جانبها، وفي داخله شوق جارف إليها. شوق يزداد حدة كلما نظر في عينيها. لكنه خشي أن يؤذيها، فكبح جماح أهوائه ونهض من فراشه وهو يقول لها مبتسماً:

ـ ستتناول طعام الفطور في السرير ونخرج بعدها لارتياد المعالم السياحية.

وارتدى معطفه المنزلي على عجل، ثم حمل الهاتف الداخلي وأمر المضيف أن يجلب لهما فطورهما، متجاهلاً المشاعر الجياشة التي استولت عليه.

كان الطقس جميلاً، فاستقلا الجيب وانطلقا عبر شوارع الجزيرة، قاصدين أولاً بلدة سامايا لرؤية ممرها الشهير.

ـ أعرف أنني لا أستطيع اجتيازه مشياً على القدمين، ولكنني سأتمكن على الأقل من رؤيته.

ركن نيكوس الجيب على مقربة من الممر، وجلسا يرتشفان القهوة في مقهى مجاور للسلالم الخشبية المؤدية إليه.

ـ سنقصد غداً في اليخت، أغيا أومالي ونطوف عبر الساحل الجنوبي.

ونظر إلى ساعته وأضاف:

ـ يمكننا أن نقصد أغيا اليوم، إن شئت.

أومأت اندريا برأسها والسعادة تتلألأ في عينيها:

ـ ما معنى كلمة أغيا؟

ابتسم نيكوس وأجاب قائلاً:

ـ أغيا تعني قديسة وأغيوس تعني قديس.

ثم رماها بنظرة عجلى وتابع يقول:

ـ عليك أن تتعلمي لغة أجدادك بما أنك ستقيمين هنا.

لزمت اندريا الصمت وقد أحست بعاصفة من المشاعر المتخبطة تهب في داخلها. فنيكوس يحاول فتح أبواب حرصت طوال اليومين الأخيرين على إبقائها موصدة.

أشاحت بوجهها بعيداً، لتدارى عنه انفعالها. إلا أنها شعرت بلمسات أصابعه على خدها وهو يهمس لها قائلاً:

ـ ألن تبقي معي؟ ألست لي يا اندريا؟

زحف الاحمرار الشديد إلى وجهها. وحاولت أن تغير الموضوع فقالت له:

ـ إلى أين سنذهب الآن؟ بدأت أشعر بالجوع.

أحست بأنفاسه الحارة على عنقها وهو يجيبها:

ـ وأنا أيضا يا حبيبتي..

ولكنه لم يشبع جوعه إلا بعد مرور ساعات طويلة، اكتفى خلالها بأن يلعب دور المرافق المحب، الذي يسهر على راحتها..

في كريت تحولت اندريا، في عينيه، إلى إنسانة مختلفة حلوة

المعشر ومنفتحة، لا تمت بصلة إلى الفتاة الإنكليزية المتحفظة التي عرفها في أثينا.

أتراها كانت تعاني من ضغط شديد خلال الأسابيع القليلة الماضية؟ أم أنها تغيرت لأنها أصبحت الآن زوجته بكل ما للكلمة من معنى؟

شعر نيكوس برغبة جامحة بامتلاكها وحمايتها في آن معاً، حتى لا يلحق أحد بها الأذى بعد اليوم. فهي الآن امرأته، وهي ملك له وحده.. في تلك اللحظة لاح له المستقبل مشرقاً، لا بل أكثر إشراقاً مما كان يتوقع. لا شك أن تهديدها بالرحيل إلى لندن، كان نابعاً من مخاوفها.. مخاوف ولدتها الأوهام التي كانت تقض مضجعها.. وهو بحكمته طرد عنها الأرواح الشريرة، وباتت دربها سالكة خالية من العقبات..

خلال اجتيازها الطريق الكثير التعرجات المؤدي إلى ممر أغيا إيريني لم تستطع اندريا أن ترفع عينيها عنه. فكل شيء فيه يثير فيها البهجة، شعره الداكن اللماع، فمه الملآن، بداه الصلبتان..

ولكن حين كانا يجلسان في المقهى بدا مصراً على تعليمها اللغة اليونانية ما زرع في نفسها الرعب. أيعقل أن تبقى في اليونان وتصبح زوجة نيكوس فاسيليس المطيعة؟

مستحيل.. مستحيل.. لا يمكنها أن تتخيل ذلك أبداً!

صحيح أن المستقبل يبدو لها، من بعيد، أشبه بسور عالٍ أسود، ولكنها تأبى الآن أن تستسلم لطغيانه.. فهي تريد أن تستمتع بكل لحظة تمضيها برفقة نيكوس، لأنها وعدت طوني بأن تعود قريباً.

فقبل مغادرتها المركب البارحة إلى اكنوسوس أجرت اتصالاً سريعاً به، لتخبره بأنها أدخلت بعض التعديلات على الخطة، وأكدت

له أنها بخير، ولكنها لن تعود الآن.

ـ غادرت قصر جدي، وقصدت مكاناً آخر برفقة أحدهم.

ـ أين أنت؟

ـ على متن يخت جدي، ولكنه ليس برفقتي. اسمع، علي أن أقفل.. اسمع وقع خطوات قريبة. أبلغ حبي لأمي وقل لها بأنني سأعود قريباً.

ولكن هل صحيح أنها ستعود قريباً إلى ديارها؟ ما الذي يبقيها هنا؟

لم تجد جواباً لسؤالها، وشعرت كأن موجة عالية تتقاذفها على شواطىء مجهولة.

أمسك نيكوس بيدها، وكأنه أحس باضطرابها وقال:

ـ لا تقلقي.. ستسير الأمور على خير مايرام!

* * *

تناولا طعامهما في بلدة سوغاي الصغيرة، في مقهى يطل على الشاطىء المكسو بالحصى.

ـ لسوء الحظ أن رجليك تؤلمانك. قال لي النادل إن ثمة رصيفاً جميلاً للمشاة، قرب أحد المواقع الأثرية، ولكننا لا نستطيع الوصول إليه بالسيارة.

ـ كم يبعد من هنا؟

ـ حوالى الساعة. ولكنني لا أريدك أن تتحملي هذه المشقة.

ـ يؤسفني أن أكون عبئاً ثقيلا عليك.

أخذ يدها بين يديه وقال:

ـ لست عبئاً علي. وأظن أنك أجهدت نفسك، بما فيه الكفاية، من أجلي.

هدت رقته المفرطة حصونها كلها، فأحست بالدموع تترقرق في عينيها..

ـ لا! لا تبكي! ألم تقولي بأنك قابلت أشخاصاً حالتهم أسوأ من حالتك بكثير؟ عليك أن تحمدي الله لأن ثروة جدك كانت سندك في محنتك.

وابتسم لها بحنان وتابع يقول:

ـ صحيح أن المال لا يشتري الصحة ولكنه يؤمن لك الرفاهية ويزيل عنك همّ الديون، التي تجعل المرء يرزح تحت ثقلها. ألست ممتنة لأن والدتك أمنت لك أفضل العلاجات، وأفضل الأطباء، بفضل أموال جدك؟

جمد الدم في عروقها! ثروة جدها؟

وتذكرت في الحال تلك الرسالة اللعينة، التي تلقتها والدتها من مكتب جدها، بعد أن كتبت له تشرح له حالة ابنتها الدقيقة، التي تتطلب علاجاً طويلاً وأموالاً كثيرة. فرد عليها مدير أعماله بحذرها بألا تحاول الاحتيال عليه، بعد اليوم، بتلفيقها قصصاً لا أساس لها من الصحة بغية ابتزاز أمواله، وإلا سيضطر للجوء إلى القانون.

لاحظ نيكوس شحوب وجهها وندم على تذكيرها بمحنتها تلك. ولكنه لم يقل لها إلا الحقيقة! فالله أنعم عليها بثروة لا تقدر قيمتها، وهي لم تذق يوما طعم الفقر. فلو كانت مرغمة على العمل والكفاح مثله، لجمع المال، لنظرت إلى الحياة نظرة مختلفة.

صحيح أن نيكوس عانى من الشقاء والذل، وكافح طويلاً ليحقق طموحه، إلا أن الله أحسن مكافأته، بمنحه شركات كوستاكيس ووريثة كوستاكيس.

ـ أنتظر حلول المساء بفارغ الصبر ياحبيبتي.

تورد خداها خجلاً وهي تقرأ الرسالة في عينيه، فاسترخت في مقعدها، وقد بدت على وجهها علامات الرضى.

* * *

كان شوق اندريا إليه يتزايد مع مرور الساعات، وباتت تعد الثواني منتظرة هبوط الليل ليعودا إلى اليخت.

في تلك الليلة، لم تعر اندريا الديكور المترف اهتماماً، ولم تلحظ ترحيب أفراد الطاقم بهما.

فمبناها كانتا مسلطتين على نيكوس فقط، وقد امتلأ قلبها بمشاعر عميقة دفعتها للاستسلام له بكليتها. قضيا ليلة محمومة شعرا خلالها وكأن أمواج العواطف المتقدة تتقاذفهما لترميهما على شواطىء بعيدة ساحرة، فتتركهما منهكين، عاجزين عن الحراك.

لازم نيكوس واندريا غرفتهما طوال اليوم التالي ولم يغادراها إلا بعد الظهر حين قصدا شاطىء سفاكيون، حيث اصطحبها نيكوس إلى بقعة تعرف بشاطىء المياه الحلوة، تكثر فيها ينابيع المياه العذبة المتفجرة من تحت الحصى.

كانت السماء صافية والشاطىء شبه خال من الناس، فأخرج نيكوس من حقيبته ثوب سباحة أسود وقال لها:

ـ لا أحد سينظر إلى ساقيك، لأن جمال وجهك سيبهرهم.

ثم طبع قبلة ناعمة على خدها وأضاف:

ـ إنك في غاية الجمال، وقلما يهمني تشويه ساقيك، فهلا نزلت إلى المياه معي؟

وكيف لها أن ترفض له طلباً؟

أخذت منه ثوب السباحة، واختبأت خلف صخرة كبيرة، وبدلت ملابسها بسرعة.

ـ هيا بنا.. فالمياه تبدو مغرية.

ترددت اندريا قليلاً وقد أحست ببرودة الماء، فعاد يقول لها:

ـ هيا! ستشكرينني لاحقاً.

ولم يخب ظنه.. إذ شعرت عند خروجها من الماء، بعد حوالى الربع ساعة، وكأنها ولدت من جديد.

جلست بقربه على الأرض والفرح يشع من وجهها. وحدها فكرة العودة إلى يخت جدها، كانت تشغل بالها. فهي تشعر فيه بالضيق الشديد، ليس لأن ديكوره المترف ينقصه الذوق فحسب، بل لأنه يذكرها بسبب مجيئها إلى اليونان، وهو سبب تحاول جاهدة أن تتناساه.

ـ نيكوس، هل علينا أن نعود إلى اليخت؟

ـ ألا تريدين ذلك؟

لم يحاول نيكوس إخفاء ذهوله، لأنه لم يعرف في حياته امرأة قد تشعر بالانزعاج من التنقل على متن هذا القصر الفخم العائم. ولكن اندريا تختلف عن الأخريات لأسباب عديدة..

هزت رأسها نفياً:

ـ أيمكننا البقاء في كريت؟

ـ طبعاً. سأتصل باليخت ليحجزوا لنا غرفة في فندق ملائم.. أم لعلك تفضلين فيلا خاصة؟

ـ مارأيك لو نغامر وننزل في الفنادق الشعبية التي نقع عليها في طريقنا؟

اتسعت عيناه دهشة، وكأنه لا يصدق أذنيه:

ـ أتريدين ذلك حقاً؟

ـ طبعاً. فأنا لم أقم بمغامرة مماثلة من قبل.

يا للسخرية! أيعقل أن تجد هذه الفتاة الفاحشة الثراء الأماكن الشعبية مصدراً للإثارة؟

ابتسم لها بتكاسل وقال:

ـ سمعاً وطاعة يا عروسي الجميلة.

* * *

جالا في الجزيرة على مدى خمسة أيام. خمسة أيام رائعة، ستبقى ذكراها مطبوعة في رأس اندريا إلى الأبد. وتنقلا على مدى خمس ليال بين الفنادق الشعبية، خمس ليال جرفتها فيها حرارة العواطف المحمومة في تيارها حتى كادت تفقد صوابها. فرمت همومها كلها، لتعيش كل لحظة تمر عليها برفقة نيكوس في سعادة وفرح..

وتردد صدى كلماته في أذنيها..

(علينا أن نستمتع بكل لحظة من حياتنا، ونشكر الله على النعم التي وهبنا إياها: عقلنا، قلبنا، أجسادنا وأهواءنا..).

وتمنت لو أن هذه اللحظات تدوم إلى الأبد. لكنها تدرك أن ذلك مستحيل، فسرعان ما سيزول بريق هذه الأوقات السحرية التي تقضيها معه، ليحل محله وجع الحقيقة الحارق، الذي عليها أن تتقبله، مهما كلف الأمر..

ألم تقل لها أمها مرة: إن ذكرى اللحظات الجميلة التي عاشتها برفقة الرجل الذي أحبته بكل جوارحها، بقيت حية في ذهنها، تواسيها في وحدتها خلال هذه السنوات الطويلة؟

أيكون قدرها أن تلقى مصير والدتها نفسه؟

في طريق عودتهما إلى الميناء، لمحت اندريا اليخت راسياً، من بعيد، فأحست بضيق في صدرها، لأن سعادتها شارفت على الانتهاء.

راحت تتفرس في نيكوس، محاولة أن تحفر قسمات وجهه في ذاكرتها.

إنها تحبه.. يالله كم تحبه!

ولكنها لن تعترف له بحبها أبداً.

* * *

نزلت اندريا عند الساعة الثالثة فجراً من فراشها وقد جافاها النوم، وصعدت إلى ظهر المركب، تاركة نيكوس يغط في نوم عميق، منهكاً من سيل العواطف المحمومة.

إنها الليلة الأخيرة التي يقضيانها سوياً، فغداً صباحاً يصل اليخت إلى مرفأ بيروس، حيث تنتهي قصتهما معاً.

ولكن، كيف تركت نفسها تقع في حبه؟

أتراها تحلم أم أنها تهذي؟ كيف غابت عن ذهنها كيم، والديون التي تراكمت عليها عقب الحادث، والأموال التي اقترضتها مقابل فوائد ضخمة لتؤمن لها علاجاً خاصاً يسمح لها بالسير على رجليها ثانية؟

فالسبب الوحيد الذي حثها على المجيء إلى اليونان، تلبية لدعوة جدها، هو حاجتها الماسة لتخفيف عبء هذه الديون عن والدتها. لقد أرادت انتشالها من شقتها الضيقة الرطبة، لتقضي الأيام المتبقية لها من العمر سعيدة هانئة لا هموم تقض مضجعها.

ولن تدع شيئاً يثنيها عن تحقيق مرادها!

فالمبلغ الذي طلبته من جدها مقابل موافقتها على الزواج بنيكوس فاسيليس أودع في حسابها المصرفي، وما عليها سوى أن تعود إلى لندن لتنفقه مخلفة نيكوس وراءها..

احست بقشعريرة تسري في جسمها. من المستحيل أن يبادلها

نيكوس الحب الذي تكنه له. فزواجه بها مجرد زواج مصلحة، وإن أغواها وطارحها الغرام، فلأنه يوناني الطبع والطابع ومتمسك بتقاليد بلاده، حتى وإن كانت عروسه مشوهة الجسد.

صحيح أنه عطف عليها، وأحسن معاملتها، وخلّصها من مخاوفها، إلا أنه لا يحبها، ولا ينوي الوقوع في حبها.

شدت اندريا ربطة معطفها الحريري وقد شعرت بلسعة من البرد.

أتراه سينفجر غضباً إن علم أن وريثة كوستاكيس بقيت منبوذة من جدها، إلى أن وجد فيها الوعاء الأنسب ليحظى بوريث له؟

أتراه قد يقبل أن يتخذ زوجة له، فتاة معدمة تقيم في شقة ضيقة، في حي شعبي في لندن؟

لم تجد اندريا جواباً لتساؤلاتها، فسيطر عليها إحساس بالأسى والفراغ.

عند الصباح بدا نيكوس متمكر المزاج..

فبعد أسبوع طويل قضاه بعيداً عن أثينا، نسي خلاله الأعمال الملحة التي تنتظره عند عودته. وبدءاً من هذا المساء، عليه أن يصل الليل بالنهار لإنجاز عملية الدمج بشكل نهائي.

منذ ساعات الصباح الأولى، بدأت الاتصالات تنهال عليه من سكرتيرته ومدرائه، بغية تحريك عجلة الأعمال.

ولكن، لأول مرة في حياته، كانت رغبة واحدة تسيطر عليه، رغبة بألا يفارق اندريا لحظة واحدة.

تملكه القنوط وشعر بتقلص في معدته، وقد تنبه إلى أنه لن يتمكن من رؤيتها قبل ساعة متأخرة من الليل.

التوى فمه سخطاً وهو ينضم إليها إلى مائدة الفطور، إذ وجدها متجهمة الوجه متوترة، وكأن الفتاة المرحة التي عرفها خلال الأسبوع

الماضي قد رحلت إلى الأبد.

- يؤسفني أن تنتهي العطلة بهذه السرعة، ولكن أعمالاً كثيرة تنتظرني.

رفعت اندريا نظرها إليه. كان يرتدي بزة رسمية، أضفت عليه طابعاً يذكرها بالرجل الذي تزوجها من أجل الاستيلاء على شركات كوستاكيس..

- طبعاً!

قطب نيكوس جبينه.

- تعلمين جيداً أن عملية الدمج ليست سهلة.

وتوقف عن الكلام وقد ظهرت في عينيها كآبة لم يعرف سببها.

كانت اندريا تدرك تماماً أن عملية الدمج ليست سهلة، ولكنها فكرت أن هذه العملية بالنسبة إليه تستحق عناء الزواج بامرأة غريبة، واغوائها، وإيقاعها في حبه. حب يائس لا أمل يرجى منه..

ومن قال إنه يريد حبها؟ جلّ ما يريده هو رفيقة يلهو معها في النهار، وتدفىء فراشه في الليل. ولكن وقت اللهو ولى، وعليه أن يعود إلى جمع المال.

وهي أيضا ستعود إلى ديارها لإنفاق المال الذي حظيت به.

تقدم أحد المضيفين من نيكوس وتحدث إليه باليونانية، ثم أسرع بمغادرة المكان. نهض نيكوس عن كرسيه، فبدا طويل القامة ووسيماً بشكل مدمر، تماماً كما بدا لها حين رأته لأول مرة على الشرفة، لأسابيع خلت. أسابيع قلبت حياتها رأساً على عقب.

- المعذرة! عليّ أن أجري اتصالاً هاتفياً.

- تفضل.

* * *

صعدت اندريا إلى جانبه في سيارة الليموزين الفخمة التي كانت تنتظرهما عند الرصيف، وفي داخلها السائق يانيس وشخص آخر، قال لها نيكوس إنه مساعده الخاص.

خلال الطريق، انغمس نيكوس في الحديث مع مساعده الخاص، ونسي وجودها كلياً، فاستولى عليها الحزن والأسى، وصممت في قرارة نفسها على الرحيل في الحال.

توقفت السيارة أمام مبنى شركة فاسيليس، فالتفت نيكوس نحوها وقال:

- سيوصلك يانيس إلى المنزل. اعذريني لأنني لن أتمكن من مرافقتك، ولكنني أعدك بالعودة إلى المنزل في أسرع وقت ممكن.

ومال نحوها ليقبلها، فأدارت وجهها بسرعة لتقع شفتاه على خدها.

ترجل نيكوس ومساعده الخاص من السيارة، فأحست بقلبها يتمزق إلى قطع صغيرة.

أغمضت عينيها، وابتلعت ريقها لتخفف ألم الدموع التي سدت حنجرتها.

تذكرت بعد قليل أنها تريد الذهاب إلى المطار، فطلبت من السائق أن يغير وجهته. وفي الطريق، قررت أن تكتب رسالة قصيرة لنيكوس، رسالة أدمت كل كلمة فيها قلبها:

عزيزي نيكوس

إنني راحلة إلى إنكلترا. لقد حقق كل منا غايته من هذا الزواج. أشكرك على الأيام الجميلة التي قضيناها في كريت، وأتمنى لك التوفيق في مهمتك الجديدة. أرجو أن تطلب من محاميك حل زواجنا في أسرع

وقت ممكن.

اندريا

وتركت الرسالة مع السائق بعد أن طلبت منه أن يسلمها لنيكوس.

* * *

١١ ـ أغلى من الذهب

ـ أين تفضلين الإقامة يا أمي؟ في المناطق الساحلية أم الجبلية؟

لم تغب نبرة الابتهاج من صوت أندريا منذ عودتها إلى المنزل قبل أسبوعين، حاملة معها أخباراً طيبة عن جدها. لقد أعطاها هذا الأخير ما يكفي من المال لتسديد ديونهما والانتقال إلى إسبانيا. ولكن على الرغم من قيامها بلعب دور الفتاة السعيدة، لاحظت أندريا قلق والدتها عليها. صحيح أنها كادت تطير فرحاً حين علمت أن ديونها سددت كلها بشيك بسيط، وأبدت إعجابها الشديد بمشية أندريا الجديدة، التي تدل على ثقة أكبر في النفس، إلا أن شيئاً ما كان يشغل بالها.

دخلت اندريا إلى المطبخ لتعد العشاء لهما، وراحت تتحدث مع والدتها باندفاع عن إسبانيا، وتوقها الشديد للانتقال إليها في أقرب وقت ممكن. إذ كانت تأمل أن تبدأ هناك حياة جديدة وتنسى نيكوس.

اعتصر الألم فؤادها.. لقد افتقدت نيكوس كثيراً وتحملت العذاب والوحدة. ولكن، آن لها أن تجمع شتات حياتها مجدداً وتتابع مسيرها.. فالآن، كل ما يهمها هو إسعاد والدتها وتأمين الراحة لها، بعد أن ضحت من أجلها سنوات طويلة. ابتسمت لأمها بحنان قائلة: «ستسير الأمور على ما يرام يا أمي! ثقي بي».

ـ إنك خير ابنة يا حبيبتي. لو تعلمين كم أحبك!

وأدركت اندريا أن نظرة رضى واحدة من كيم تكفي لتعوضها عن

www.elromancia.com

كل شيء، حتى حبها الضائع...

في تلك اللحظة، سمعتا طرقاً قوياً على الباب.

ـ لا بأس يا أمي! سيرحلون بعد قليل.

إذ غالباً مايقصد صبية الحي المشاكسون المنازل بقصد التسول. وكم كانت اندريا سعيدة لأنها سترحل عن هذا المكان إلى غير عودة.

فغداً، في مثل هذه الساعة، تصلان إلى مالاغا وتبدآن البحث عن شقة جديدة، لتستقرا فيها...

عاد الطرق على الباب أكثر إلحاحاً هذه المرة.

ـ حسنا... لقد طفح الكيل.

وأسرعت اندريا تفتح الباب، وفي داخلها رغبة شديدة بالعراك مع أولئك المشاكسين. غير أنها شاهدت من خلف الزجاج شخصاً طويل القامة.

فتحت الباب، وإذا بها تقف مشلولة، تحت نظرات العينين الثاقبتين المسلطتين عليها...

دخل نيكوس من الباب وقال لها بحدة:

ـ إياك أن تهجريني ثانية!

بقيت جامدة في مكانها وقد توقف قلبها عن الخفقان. ثم قالت له متلعثمة:

ـ كـ... كيف؟

ـ تعذبت كثيراً للعثور عليك.

وجال بنظره في الرواق الضيق الذي تفوح منه رائحة العفن:

ـ لم أتصور أنك تختبئين في هذا الجحر. لمن هذا المنزل القذر؟

صرخ صوت من داخل المطبخ:

ـ إنه منزلي ياسيد..

وأطلت كيم من باب المطبخ وعلى وجهها علامات الاستغراب:

ـ فاسيليس.. نيكوس فاسيليس.. أتيت بحثاً عن اندريا..

هبت اندريا تقول، وعيناها لا تكادان تصدقان أنه يقف أمامها:

ـ لن أذهب معك.

سألتها كيم قلقة:

ـ ماالذي يجري؟

ـ لا شيء أبداً. أظن أن السيد فاسيليس ارتكب خطأ، وسيغادر على الفور من دوني.

ـ إنك مخطئة. أحضري أمتعتك وتعالي معي، ولا تنسي جواز سفرك.

ـ لن أرحل من هنا!

ـ ستعودين إلى أثينا. فرحيلك المفاجيء أغضب جدك، إذ شعر بأنك خدعته وأصر على أن تعودي إلى أثينا وتنمي واجباتك، وإلا أوقف عملية الدمج.

شعرت بغصة في حلقها، فسألته بحدة:

ـ أهذا كل مايهمك؟

ـ تعلمين أن ثمة أموراً أخرى تهمني. بعد عودتك إلى اليونان لإتمام واجباتك، سنتباحث في الموضوع.

أثارت فيها كلماته سيلاً من الذكريات. فاشتعلت في عينيها شرارة غريبة، لمحها نيكوس وابتسم ابتسامة مقتضبة ثم تابع يقول:

ـ أتعلمين شيئاً ياحبيبتي؟ أنا أيضا شعرت أنني مخدوع عند رحيلك!

بدت نبرة صوته مشوبة بالغضب إلا أنها حملت في طياتها شيئاً من

www.elromancia.com

الحزن.

التفت نيكوس نحو كيم وقال لها:

ـ أريد التحدث مع اندريا على انفراد.

ـ ليس لدي ما أقوله لك.

أجابها ببرودة:

ـ أنا لدي أشياء كثيرة أقولها لك يا حبيبتي.

تحركت في داخلها مشاعر غريبة وهي تسمعه يناديها «حبيبتي». مشاعر لم تلبث أن خمدت، إذ تقدمت كيم نحوها، وأحاطتها بذراعها قائلة:

ـ لا ترغب ابنتي بالتحدث إليك ياسيد فاسيليس.

شهق نيكوس مذهولاً وكأنه لا يصدق أذنيه.

ـ هذه المرأة هي والدتك؟

أجابته كيم:

ـ نعم، أنا والدة أندريا.. وأرجو أن تشرح لي ما الذي يجري هنا!

راحت عينا نيكوس تنتقلان بين الأم وابنتها بحثاً عن مكامن الشبه بينهما. ولكن أندريا لم ترث عن والدتها إلا شعرها المتوهج، في حين أنها ورثت عن والدها قامتها وعينيها الكهرمانتين.

ـ سيدة كوستاكيس..

هزت كيم رأسها: «أدعى كيم فرايزر. فأنا وأندرياس لم نتزوج قط».

اتسعت عينا نيكوس دهشة.

ـ أترى أنني لست المرأة التي كنت تخالها؟ أنظر حولك، هل أبدو لك كوريثة كوستاكيس؟

ـ غير معقول!

ابتسمت أندريا ابتسامة ساخرة.. فلطالما عرفت أنه سيصاب بالجنون عندما يكتشف الحقيقة. ما الذي قد يعجب نيكوس فاسيليس في امرأة فقيرة مثلها تعيش في حي قذر؟

دخل نيكوس إلى غرفة الجلوس فوجدها نظيفة ومرتبة، ولكن أثاثها قديم وبالٍ.

ـ أهذا هو منزلك؟

ـ أجل.

ـ لماذا؟

ـ لأن والدتي لا تستطيع أن تؤمن لنا منزلاً أفضل! من حسن حظها أن المجلس البلدي وافق على إعطائها هذه الشقة، لا سيما وأنها أم عزباء، لم تكن تتجاوز العشرين من عمرها. وبعد دخولي إلى المدرسة، وجدت عملاً بدوام جزئي، ولكن راتبها لم يكن يكفي لإدخار المال، لشراء منزل آخر!

ـ ماذا عن جدك؟

ـ رفض جدي إعطاءها المال مدعياً أنه لا يحق لها المطالبة بإرث والدي.

تصلبت قسمات وجهه.

ـ أتقصدين القول بأن جدك لا يعيلك؟

ـ هذا صحيح. قلت لك إنني لا أنتمي لآل كوستاكيس!

قاطعت كيم حديثهما سائلة:

ـ ماذا عن المال يا اندريا؟ قلت لي إن يورغوس كوستاكيس أعطاك إياه بملء إرادته. ولكن إن كنت قد لجأت إلى ابتزازه، فعليك إعادته في الحال!

صرخت اندريا:

- لا! المال لنا.. علينا أن نشتري منزلاً في إسبانيا ونسدد.. ديونك..

- ديونها؟

- أجل ياسيد فاسيليس. فعندما كانت اندريا في سن المراهقة، تعرضت لحادث سيارة مروع، وتطلب علاجها مبالغ طائلة. فلم أجد أمامي حلاً سوى اقتراض المال. ولا نزال، حتى اليوم، نسدد هذه الديون، واندريا تشغل وظيفتين، وتدخر كل قرش تجنيه للتخفيف من عبء هذه الديون.

أحس نيكوس كأن الأرض تزلزل تحت قدميه، ولكنه تمالك أعصابه وسألها:

- ألم تطلبي العون من يورغوس كوستاكيس؟

ضحكت اندريا ساخرة:

- طبعاً فعلت! أرسلت له تقارير الأطباء التي تثبت خطورة حالتي الصحية، ووعدته بأن ترد له كل قرش يدفعه، حالما تتمكن من ذلك!

- إذن؟

- رفض مساعدتها. وقال إنها تحاول ابتزاز المال بادعاءاتها الكاذبة، وطلب من محاميه تهديدها من مغبة محاولة الاتصال به ثانية، وإلا تعرضت للملاحقة القضائية.

والتقطت أنفاسها وتابعت تقول: «لن أعيد المال له، مهما حاولت والدتي. لقد سددت ديونها، وسأشتري لها شقة في إسبانيا. أما المبلغ المتبقي فسوف يكفيها لتعيش الأيام المتبقية لها في رخاء».

- كم دفع لك يورغوس كوستاكيس؟

- خمسمئة ألف باوند.. أعرف أنه مبلغ كبير، ولكننا في حاجة ماسة إليه!

- خمسمئة ألف باوند..

اتسعت عيناه دهشة:

- أتعلمين كم تساوي ثروة جدك؟

تقدم نحوها وأمسك بساعديها ثم أضاف:

- ثقي أن النصف مليون باوند يعتبر مبلغاً ضئيلاً بالنسبة إلى ثروة العجوز.

أجفلت اندريا وابتعدت عنه قائلة:

- قلما تهمني ثروته! لقد أساء معاملة والدتي وأنا أحقد عليه بسبب ذلك، ولا أريد من ماله القذر إلا خمسمئة ألف باوند لشراء منزل لأمي في بلد حار، لتعيش عيشة هانئة خالية من الهموم. تعاني أمي من الربو، والعفونة المتفشية في الشقة تزيد حالتها سوءا.

لم يكن نيكوس يصغي إليها. بل راح يجول بنظره في الشقة، متمعناً في تفاصيلها كلها.

انفطر قلبها وهي تراه يتأمل المكان الذي تقيم فيه والاشمئزاز باد على وجهه.

أتراه سيحتقرها بسبب تواضع منزلها؟

خرقت كيم الصمت الذي خيم على الغرفة قائلة:

- يبدو أن وقع الصدمة كان قوياً عليك ياسيد فاسيليس. ولكن هلا سمحت لي أن أسألك عن الهدف من زيارتك هذه لنا؟

- أظن أن الهدف من زيارتي قد تغيّر ياسيدة فرايزر.

شعرت اندريا بتوتر في حلقها. ألم يقل إنه جاء ليعيدها معه إلى اليونان؟ ولكن، ها هو قد بدل رأيه، ولم يعد يتحمل البقاء لحظة واحدة بعد في هذا الجحر.

حول نيكوس عينيه القاسيتين إليها، فحبست أنفاسها. منذ عودتها

إلى لندن، وهي تحاول إقناع نفسها بأنه لن تراه ثانية، وعليها أن تعيش الأيام المتبقية لها من العمر على ذكرى الأوقات الجميلة التي أمضياها معاً. ولكنه أتى بحثاً عنها.. أتى ليعيدها معه إلى أثينا. ففاجأته الحقيقة المؤلمة، وبدا كمن تلقى ضربة على رأسه. كان عليها أن تصارحه بالحقيقة منذ البداية، حتى لا يخيل إليه بأنها خدعته.

سحبت نفساً عميقاً وقالت له:

- اسمع يانيكوس.. إنني في غاية الأسف، لم أكن أعلم أن رحيلي سيعرض عملية الدمج للخطر.

أجابها وقد بدا التجهم على وجهه:

- لن تتم عملية الدمج.

حتماً! فالمرأة التي تزوج بها ليست حفيدة كوستاكيس، بل ابنة امرأة أساء العجوز معاملتها أشد الإساءة... امرأة لا تنتمي إلى عالمه الراقي، بل ولدت في شقة قذرة، في حي شعبي، وترعرت فيها!

- كان علي أن أصارحك بالحقيقة!

- أجل.

- آسفة.

لم تجد شيئاً آخر تقوله له.

- حقاً؟ وأنا أيضاً.

بدت نبرة صوته غريبة.. ألا يكفيه أنها مشوهة الجسد؟ كيف سيستقبل أيضا فكرة انتمائها إلى طبقة متدنية؟

وقف نيكوس قرب النافذة، وقد خيل إليه أن ممالك العالم كله ممتدة تحت قدميه..

وعاد بالذاكرة إلى رحلته الطويلة في الحياة، رحلة قاسية جمع خلالها أموالاً طائلة، وحقق نجاحات باهرة، كللها مؤخراً بالاستيلاء

على شركات كوستاكيس..

ولكنه يافع في السن. ومن يدري كم مملكة قد يشترى بعد قبل انقضاء عمره؟ من يدري كم روحاً قد يشتري أو يبيع بهذه الثروات الطائلة؟

وتراءت في ذهنه صورة رجل عجوز، عيناه تعرفان جيداً ثمن كل نفس بشرية.

كم يساوي نيكوس ياترى؟ وجاءه الرد واضحاً كعين الشمس. إنه يساوي الكثير، ومال يورغوس كوستاكيس كله لا يكفي لشرائه.

ابتعد نيكوس عن النافذة، وعاد يحدق بالمرأتين الواقفتين في هذه الغرفة القذرة. فاختفت ممالك العالم كله من أمام ناظريه..

ودس فجأة يده في جيبه وأخرج هاتفه النقال، وطلب رقماً، ثم تحدث إلى أحدهم قائلاً:

- أنا نيكوس فاسيليس، أريد أن أترك رسالة للسيد كوستاكيس.. قل له إنني في منزل كيم فرايزر وابنتها، ويمكنه اعتبار اتفاقنا ملغى.

ثم أقفل الخط بسرعة، وأعاد الهاتف إلى جيبه، وقال بحدة:

- سأجعله يدفع ثمن مافعله بكما!

رفعت اندريا حاجبيها مذهولة.

- أعلم أنه قاسي القلب. ولكن معاملته لكما لا تغتفر.

لم تقو اندريا على فتح فمها، ووقفت تحدق به، وهي لا تكاد تصدق ما تسمعه.

- كيف تركتما تواجهان مصاعب الحياة بمفردكما، في هذا الجحر القذر، وصم أذنيه أمام توسلات أم تكاد ابنتها تصاب بالشلل؟ رباه! أي نوع من البشر هو؟

والتقطت هاتفه من جديد وأضاف:

ـ يجب أن يعرف العالم كله حقيقته.

وقبل أن تعي اندريا حقيقة مايجرى سمعته يقول:

ـ ديمتريوس؟ أريدك أن تعد بياناً صحافياً للإعلان عن إلغاء عملية الدمج. نعم، سمعتني جيداً.. وسأوضح الأسباب قريباً جداً للعالم أجمع. سأتصل بك بعد ساعة لتتاح لك الفرصة للاتصال بأعضاء مجلس الإدارة.

قالت له كيم بصوت قلق:

ـ أرجوك يا سيد فاسيليس. إنني لا أفهم شيئاً.. ماالذي يجري؟

ـ قررت ياسيدتي أن أتخلى عن شركات كوستاكيس، لأنني أرفض رفضاً قاطعاً التعامل مع رجل حوّل حياتك وحياة ابنتك إلى جحيم.

أجابته اندريا متلعثمة:

ـ ولكن.. لكن دمج الشركتين يعني لك الكثير.

ـ ألا تعلمين يا حبيبتي أن ثمة شيئاً آخر يهمني أكثر من ذلك؟

ومد يده يعبث بشعرها وهو يتابع قائلاً:

ـ عندما علمت برحيلك شعرت وكأنك طعنتني في الصميم وتركتني أنزف حتى الموت.

تسللت أنامله بخفة إلى وجنتيها وعنقها، فتسارعت نبضات قلبها.

ـ عودي إليّ ياحبيبتي.. عودي إليّ..

شعرت بالدماء الحارة تغزو شرايينها، ولكنها بذلت جهداً لتحافظ على هدوئها.

ـ لقد تمت عملية الدمج، ولم تعد بحاجة إلي.

ابتسم لها برقة، فأخذ قلبها يتخبط بين ضلوعها:

ـ ولكن من دونك حياتي جحيم. ألا تعلمين ذلك؟ أريدك إلى جانبي في كل لحظة من حياتي.

نظرت إليه مستغربة، وقد أحست بالدموع تسد حلقها.

ـ ولكن.. لا أفهم سبب حاجتك إليّ؟

ـ ألم أثبت لك ذلك خلال رحلة شهر العسل في كريت؟

ـ تثبت لي ماذا؟

ـ إنني أحبك.. وبجنون.

ـ تحبني؟

ـ طبعاً..

بدت نبرة صوته خالية من أي شك.

ـ وما هو برأيك سبب جروح قلبي الدامية؟ وهذه الدموع اللؤلؤية في مقلتيك؟

ـ ولكنك لاتحبني.. مستحيل.. تزوجتني لتستولي على شركات كوستاكيس فحسب..

شهقت كيم مذهولة، ولكنهما لم يعيراها اهتماماً.

ـ بل إن زواجنا هو أفضل شيء حصلت عليه من عملية الدمج الملعونة تلك! فمنذ أن عقدت العزم على الزواج بك، أقسمت على أكون زوجاً طيباً ومخلصاً. وعندما علمت برحيلك، عذبني ألم فقدانك عذاباً شديداً، وأدركت حينها أن حبي لك يفوق كل تصور. أنا أحبك.. أحبك.. بجنون.

ـ لا يمكنك أن تحبني.. فكل واحد منا ينتمي إلى عالم مختلف كلياً.

وأشارت بيدها إلى شقتهما القذرة.

لاحق نيكوس حركة يدها بعينيه، وقد أدرك في تلك اللحظة معنى الكلمات عينها التي رددتها على مسمعه ليلة زفافهما.

فقال لها بصوت ناعم:

ـ عند عودتك معي إلى أثينا سأريك المكان الذي ولدت وترعرعت فيه. فأنا لم أعرف والدي قط، ولم أنعم بحنان أمي لأنها لم تكترث لأمري، فقررت أن أصبح ناجحاً، مهما كان الثمن، وأن أجمع ثروة طائلة..

وقفت اندريا تحدق به بصمت، وهي تراه يخلع عنه للمرة الأولى، القناع الذهبي، ليريها وجه الرجل الشجاع الطموح، الذي تحول إلى إنسان مرموق بفضل عزمه وإرادته.

ـ ولكنني لم أعرف من قبل أن الثروة الحقيقية ليست ذهباً وفضة. إن الثروة الحقيقية هي في داخلنا يا اندريا.

نظر إليها نظرة حنونة أذابت أوصالها وتابع يقول:

ـ إنني أحسدك يا اندريا على والدتك، وأحسدك على حبك لها، لذا أتوسل إليك أن تقبلي حبي وتبادليني هذه المشاعر.

وضم يديه قرب قلبه واستطرد قائلاً:

ـ عودي معي يا اندريا، وكوني زوجتي، لأن حبك يملأ قلبي.

ـ أجل!

فأخذها بين ذراعيه بشوق محموم، ومسح الدموع السخية التي سالت على وجنتيها، ثم عانقها عناق من طال انتظاره، وأخذته اللهفة..

التفت بعدها نحو كيم، التي كانت غارقة بدموعها، وسألها:

ـ أتباركين زواجنا؟

انعقد لسان كيم عن الكلام، ولكنها ما لبثت أن صرخت قائلة:

ـ طبعاً! طبعاً!

* * *

الخاتمة

ـ إن كان صبياً نسميه اندرياس، وإن كانت فتاة نسميها كيم.

ابتسمت اندريا:

ـ ولكن كيم ليس اسماً يونانياً.

وضع نيكوس يده على بطنها وصرخ متعجباً:

ـ لقد رفسني!

مالت اندريا برأسها تتكىء على صدر زوجها، وهي تتأمل الشمس تنوص في البحر حاملة معها نور النهار..

ـ إنني في غاية السعادة!

ـ لأنك تستحقين العيش بسعادة.

فمنذ تلك الليلة، التي أتى نيكوس فيها بحثاً عنها، انقلبت حياتها رأساً على عقب!

إذ اصطحبها مع والدتها إلى اليونان، واستأجر لهما فيلا خاصة في إحدى الجزر، ثم عاد إلى أثينا لمواجهة يورغوس كوستا كيس.

لا شك ان انسحابه رسمياً من الاتفاق الموقع بينهما كان قاسياً، وكذلك التغطية الإعلامية التي تلت ذلك.. ففضيحة تخلي العجوز الثري عن حفيدته وعدم الاعتراف بها، أثارت بلبلة كبيرة، فضلا عن أن إلغاء عملية دمج الشركتين أدى إلى هبوط سعر أسهم كوستاكيس، ما

أجبره على التخي عن رئاسة المجلس ليضطر بعد ذلك إلى التقاعد.

أما الأزمة القلبية التي أصيب بها بعد أقل من شهر وأدت إلى وفاته، فلم تثر شفقة أحد عليه، لأنه لم يرحم أحداً في حياته..

بعد موته، انتقلت ثروته كلها إلى حفيدته، إذ مزق العجوز، في ساعة غضب، الوصية التي أعدها منذ بضعة أشهر، تاركاً فيها ثروته كلها لابن حفيدته المنتظر.

قالت اندريا، بنبرة قلقة:

ـ هل أنت واثق يا نيكوس مما تريدني أن أفعله؟

رفع وجهها إليه وأجابها من دون تردد:

ـ طبعا... فمؤسسة اندرياس كوستاكيس ستخلد ذكرى والدك. كلانا ذاق طعم الفقر، ويدرك تماما أهميتها بالنسبة للأطفال المشردين على الطرقات.

ـ ولكننا نستطيع الاحتفاظ بأسهم كوستاكيس لتتمكن من إدارة الشركة كما كنت تنوي أن تفعل.

هز رأسه هزاً خفياً:

ـ كلا.. لدينا مايكفي من المال، ولن نشعر أبداً بالعوز. أتعلمين شيئاً؟ أظن أن علينا الاستفادة من ثروة العجوز الملوثة وذلك باستثمارها في أعمال خيرية، علّ الناس يذكرونه بالخير.

ـ كان قاسياً وشريراً مع والدتي، ولكنني حزنت لموته وحيداً، من دون أن يجد أحداً يرعاه.

ـ ولكنه لم يحب أحداً سوى نفسه. فعلاوة عنكما، تبين أن ضحايا تحجره وقساوته كثر. ولكن هؤلاء لم يتفوهوا بكلمة إلى أن نشرت

قصتكما.

أمسك يدها بحنان وتابع يقول:

ـ ثروة كوستاكيس كلها بين يديك، وعليك استعمالها لخدمة الناس.. أما بالنسبة إلى قصره المترف، ويخته الفخم..

قاطعته اندريا ضاحكة:

ـ إنني على ثقة بأن أحد أثرياء العالم سيجد فيهما ضالته. ويمكننا استخدام ثمنهما لتغطية نفقات المؤسسة!

ـ هذا صحيح، ولكن علينا أن نقنع القبطان بتراشوس بالبقاء معنا. لقد قال لي مساء البارحة، إنه يتمنى التعاون معنا في برنامج تعليم الشباب في المؤسسة.

ـ يالها من صدفة غريبة! فقد قالت لي أمي إنها تبغي مد يد العون لنا أيضا.

نظرت إليه بعيني تتسعان فرحاً وأضافت:

ـ أظن أنها معجبة به جداً. لطالما تمنيت أن تلتقي أمي بأحدهم، يكون لها خير رفيق خلال الأيام المتبقية لها من العمر!

ابتسم لها نيكوس وقال:

ـ أتمنى لهما السعادة. فنحن حظينا بقسط كبير منها، أليس كذلك يا حبي؟

دست ذراعيها حول عنقه:

ـ أحبك كثيراً يا نيكوس!

ضمها إليه بحنان وقال:

ـ وأنا أيضاً أحبك يا اندريا، ولن أكف عن حبك ما حييت!

* * *